جزيرة الغفران

د. مصطفى عطية جمعة

جزيرةَ الغئران

❖ **اسم العمل**: جزيرة الفئران (مسرحيات للفتيان)
❖ **الكاتب**: د. مصطفى عطية جمعة
❖ **إخراج داخلي**: سليل الفراعنــة
❖ **رقم الإيداع**: 2023/ 16052
❖ **الترقيم الدولي**: 978-977-86834-0-0

(جميع الحقوق محفوظة للناشر وأي انتهاك سيعرض صاحبه للمساءلة القانونية
هذه النسخة مخصصة للقراءة فقط، ولا يجوز إعادة طبعها أو نسخها أو نشرها إلا
بعد الحصول على إذن كتابي من الناشر)

متون المثقف
للنشر والتوزيع

خالد عدلي
00201002688188
info.mothakf@gmail.com

(مسرحيات للفتيان)

جزيرة الفئران

(موجهة إلى سن ١١- ١٤)

للكاتب

د. مصطفى عطية جمعة

متون المثقف للنشر والتوزيع

المسرحية الأولى

خداع على خداع

(المسرحية الأولى) خداع على خداع

(في الركن الأيمن بالمسرح، ضوء ساطع على رجل كبير في السن، ذو لحية طويلة بيضاء، يرتدي ثياب الحكماء: عباءة غامقة، وأسفلها جلباب أبيض، ويجلس أمامه صبيّ في العاشرة من عمره، ومعه بنت أصغر منه. يبدو الركن على هيئة غرفة صغيرة، بسيطة الأثاث، مكتب ومقاعد خشبية وبساط على الأرض وبعض الوسائد، وتبدو كتب مجلدة على أرفف خلف المكتب وفي الزوايا، والحكيم والصبي والبنت يتحاورون)

الصبي (هيثم): أستاذي، لقد علمتني الكثير منذ أن تتلمذت على يديك، لقد فهمت أشياء كثيرة عن الحياة والناس.

البنت (زهرة): نعم يا أستاذنا، لقد أفدتنا بالكثير منذ أن جئنا إليك.

الحكيم (مبتسما): أنتما ذكيان نابهان، سعدت كثيرا بصحبتكما خلال الفترة الماضية، ويعجبني فيكما كثرة أسئلتكما.

هيثم (يخجل من المدح): أشكرك يا معلمي الكريم، عندما جئنا إليك كنا نظن أن الدنيا بسيطة، لهو ولعب، ولكنك علّمتنا أنها حياة، وأشخاص، وتجارب، ولا بد أن نتعلم من كل تجربة.

الحكيم (منتهزا الفرصة، متسائلا): فقط نتعلم من التجربة؟!

هيثم: نعم، كل تجربة نمر بها، نتعلّم منها.

الحكيم (مبتسما): هذا يعني أن ننتظر أن نعيش في التجربة ؛ كي نتعلم منها.

زهرة (مستوضحة): أرى في عينيك - يا أستاذي - درسا جديدا.

الحكيم (مبينًا): نعم، عندما أذكر لك حكمة، ماذا تستفيد منها؟

هيثم (بأدب): أفهمها جيدا، ثم أستفيد منها في المستقبل.

الحكيم: جميل، ومن أين جاءت الحكمة والأمثال؟

زهرة: من الحكماء.

الحكيم (ناظرا بحنان): إننا نأخذ الحكمة والمثل من مصادر كثيرة..

هيثم (متابعا): من الكتب الدينية، من القرآن والحديث، ومن الشعراء والأدباء.

الحكيم: بارك الله فيك يا هيثم، وأزيدك قولا: الحكمة موقف من مواقف الحياة، تقدم خلاصة تجربة شخص في الحياة، حتى لا يسقط فيها الآخرون بعد ذلك.

هيثم: نعم..

زهرة: أي تمنع تكرار الخطأ.

الحكيم: فعندما نستمع إلى حكمة صينية تقول: " أن تعلمني صيد السمك خير لي من أن تعطيني سمكة كل يوم "، فهذه تعني..

هيثم: تعني أن أعلّم الفقير حرفة يتكسب منها أفضل من إعطائه صدقة.

زهرة: وهذا يشجع قيمة العمل عند الناس، وقد صاغها الحكيم من موقف رأى فيه الناس متهاونين كسالى، يطلبون المساعدة.

الحكيم: أحسنتما، أحسنتما.

زهرة (بحماسة): ولا شك أن هذه الحكمة قد أخذها الحكيم الصيني من موقف أو تجربة مر بهما.

هيثم: أو قد يكون سمع بها، فصاغ هذه الحكمة.

الحكيم: جزاكما الله خيرا. ولا شك أننا نقول هذه الحكمة، كلما رأينا موقفا مشابها، يتطلب ذكرها.

زهرة، هيثم: نعم، نعم.

الحكيم (متأملا وجهيهما ثم يقول): حقيقة يا حبيبيّ، أنا عندي فكرة، أرغب في أن أناقشكما فيها.

زهرة (بعيون لامعة): فكرة! ما هي؟

الحكيم (شارحا): دائما أنا أقدم لكما الحكمة مباشرة وأشرحها لكما وقد أذكر لكما القصة التي كانت سببا في تكوينها. الآن، أطلب منكما أن تذكرا أنتما حكمة، ثم أحكي لكما قصة تطبق هذه الحكمة.

هيثم: جميل، أي تريد أن يكون الأمر معكوسا.

الحكيم: نعم، بدلا من ذكر حكمة ثم حكاية، تذكرون أنتم الحكمة، وأنا أحكي لكما قصة تثبت ذلك.

زهرة (بتفكر): قد لا نعلم نحن حكمة، ألا يمكن أن تكون سؤالا؟

الحكيم: ولمَ لا؟ تطرحون أنتم السؤال، وأنا أجتهد في الإجابة عنه.

هيثم: بذلك يكون الأمر سهلا، سؤال منا ثم جواب منك.

الحكيم: نعم، ولكنني أريد أن يكون السؤال مرتبطا بشيء في نفسيكما، يعني أن يكون عن بعض تجارب الحياة...، بعض مشكلات الحياة.

هيثم: جميل.

زهرة: وما هدفك من هذا الأمر يا أستاذنا؟

الحكيم (ضاحكا): ألا يعجبك يا زهرة؟

زهرة: بلى، ولكن أريد أن أعرف هدفك منه.

الحكيم: بصراحة، أرغب في أن أعرف كيف تفكران، وما أهم المشكلات التي تريان أنها صعبة الحل مثلا؟

هيثم: وهذا معناه، أن نتخيل أي شي...، ونسألك.

زهرة:... أي مشكلة ونطرحها عليك، بسيطة كانت أو كبيرة.

الحكيم: نعم، من مشكلات الناس، سواء كانت بسيطة أو كبيرة، المهم أن تكون مرتبطة بحياة الناس حولنا.

هيثم: الفكرة رائعة.

زهرة: متى نبدأ فيها؟

الحكيم: من الآن. هيا فكرا، وأنا معكما. من سيبدأ؟

هيثم: حقيقة، فإنني أعصر عقلي.

زهرة: وأنا أيضا.

الحكيم: هل هناك مشكلة تريان أنها صعبة الحل؟

هيثم: نحن نرى ذلك؟!

الحكيم: نعم، هذا مجرد اقتراح مني.

زهرة: تقصد مشكلة لا حل لها، ومعقدة.

هيثم (بصوت عال): وجدتها...

زهرة: ما هي؟ قل..

هيثم: مشكلة كنت قد فكرت فيها مرات. نسمع أن هناك الكثير من المجرمين أو النصّابين الذين يخدعون الناس الطيبين.

زهرة: وماذا في ذلك؟! هذا كثير.

هيثم: أقصد أن هناك شخصا- مثلا- قد استطاع أن يفلت من القانون، ولم يكن هناك دليل عليه، والقاضي والشرطة يعلمون أنه نصاب ومخادع، ولكنهما بلا براهين ضده، كيف نتصرف معه؟

زهرة (بحيرة): نعم، هناك كثيرون يخدعون الشرطة والقضاء، ويهربون ويعيشون دون عقاب والناس تعرف أنهم ظالمون.

الحكيم: صحيح، وهؤلاء يصيبهم عقاب الله إن عاجلا أو آجلا.

هيثم: كيف؟

الحكيم: لابد أنهم سيسقطون، فمهما فرّ المجرم من العدالة، سيسقط في نهاية الأمر، بخطأ منه، بانكشاف أمره.

هيثم: ولكن سؤالي هل يمكن أن نتصرف مع هؤلاء المتفنين في الهروب من القانون والشرطة؟

الحكيم: سؤالك واضح يا هيثم، وأرى أن هذا ممكن. وإليكما هذه الحكاية.

(يرفع الحكيم صوته، كأنه راو، ويتجلى صدى الصوت في المسرح)

الحكيم: يحكى أن – في سالف الزمان - هناك تاجرا في مدينة " القيروان " بتونس الخضراء، أراد الحج إلى بيت الله الحرام، وكان يعلم أن المسافة بعيدة، والرحلة قد تستغرق عاما كاملا، في الذهاب والإياب...

(يضاء الجانب الأيسر من المسرح، حيث نرى مشهدا للسوق القديم في مدينة القيروان، محلات بأبواب خشبية متجاورة، والشارع ضيق، والناس غادون رائحون، ويبدو من قريب دكان يبيع أقمشة متعددة الألوان، مصفوفة في جوانب المحل، وفي بعض الأرفف، وأمام المحل مقاعد خشبية، يجلس عليها التاجر"سليمان " الذي نوى الحج، وبجانبه " مروان " صاحب دكان الأقمشة)

مروان: تذهب وتعود بالسلامة يا حاج سليمان.

سليمان: بارك الله فيك يا أخي الحبيب، وانتظر حتى أرجع من الحج لتقول لي يا حاج، العمر بيد الله تعالى، والطريق طويل جدا كما تعرف.

مروان (بحب ومودة): أطال الله عمرك، ومتّعك بالعافية، وأعادك بالسلامة، لنقول لك يا حاج. صحيح الطريق طويل، ولكنك تسافر لبيت الله الحرام، في طاعة الله، وفي أمان الله.

سليمان: لقد أتيت إليك في أمر مهم.

مروان: خيرا إن شاء الله.

سليمان: خيرا يا أبا الوليد، كما تعلم، فقد صفيت تجارتي، لأتفرغ لأمر الحج حتى لا أكون متعلقا بها وأنا أؤدي مناسك الحج.

مروان: نعم، وأنا لا أتفق معك، وقد نصحتك مرارا، فأنت تاجر معروف.

سليمان: أجل، أنت نصحتني وبارك الله فيك، ولكنني أردت أن أكون لله كلّي، بقلبي، وعقلي، ولا أفكر في الدنيا.

مروان (رافعا كفيه): اللّهُمَّ تقبل منك الحج، وأعادك بعافية وسلامة.

سليمان (متأثرا بكلام صديقه): جزاك الله خيرا، لم أكن أعلم أنك بهذه الروح والأخلاق الطيبة. **(يواصل برقة)** وددت منك طلبا؟

مروان (بحماسة): آمرني، يا عم الحاج.

سليمان: الأمر لله وحده، أريد أن أضع مالي أمانة عندك حتى أعود.

مروان (مبتهجا): وأنا أمين عليه، أنت أخي. **(بلهفة)** كم المال؟

سليمان (بطيبة): عشرة آلاف دينار ذهبا.

مروان (لامعة عيناه): ماشاء الله، هذه أمانة كبيرة، وأنا لها إن شاء الله.

سليمان (بثقة): وقد اخترتك يا مروان، لأنني أعلم هذا **(ملمّحا)** وأرجو أن تعد لي صكًا بهذا، فإن الموت والحياة بيد الله، وأنا سأسافر مع زوجتي، وسأترك أولادي عند أخوالهم في مدينة تونس.

مروان (بحماسة): طبعا، هذا حقك، وسأعد الورقة لك إن شاء الله **(يزيد بكرم)** وسأحضر شاهدين يوقعان على هذه الورقة.

سليمان (بفرح): الحمد لله، لقد خجلت أن أطلب منك هذا.

مروان: كيف تخجل من حقك يا رجل؟!

سليمان: إذن، سأذهب الآن، ثم آتيك غدا، ومعي المال، سلام الله عليك.

مروان: وأنا سأعد لك الصك، والشهود. **(واقفا مصافحا معانقا بتصنع)** وعليك السلام أخي الحبيب.

(إظلام)

(يضاء المشهد على نفس الديكور السابق، ونشاهد التاجرين سليمان ومروان، ومعهما شخصان آخران أحدهما يدعى محمد والثاني زيد)

مروان (واضعا يده على كتف سليمان): يا مرحبا يا حاج، والله سنشتاق إليك كثيرا، متى السفر إن شاء الله؟

سليمان: بعد غد، سأسافر ميناء " سوسة "، ومنه سنركب السفينة المتجهة إلى الأسكندرية في مصر، ثم نلتحق مع قوافل الحج من برّ مصر إلى الحجاز إن شاء الله تعالى.

مروان: تصل وتعود بسلامة الله. (يستأنف حديثه) وقد أعددت لك الصكَّ المطلوب، وأحضرت شاهدين من أحبابنا (يشير إلى الشخصين) هذا هو عم محمد وعم زيد، طبعا تعرفهما؟

سليمان (متلجلجا): نعم..، نعم...، هما يجلسان معك دائما في دكانك.

مروان (ضاحكا): صحيح، وهما من زبائني الدائمين، ونحن أصدقاء.

محمد: يا حاج سليمان، أنا محمد الخياط، وهذا زيد بائع القماش.

سليمان: أهلا وسهلا بكما.

زيد (باسما): وطبعا أنت تعرف أن محلي في السوق الخلفي، القريب من المسجد الجامع الكبير، أما محل محمد الخياط فهو في السوق الجنوبي.

سليمان: إنني في غاية السعادة لأنكما ستشهدان على الصك، والاتفاق.

محمد وزيد (في صوت واحد): وشرف لنا أن نكون شاهدين لك ولمروان.

مروان: لن نضيع وقتك، المهم أن تدعو لنا في بيت الله الحرام.

سليمان (مبتسما بامتنان): سأدعو لكم جميعا بالخير والصحة والرزق، وأنت – يا أبا الوليد - نِعمَ الصديق، وأدعو الله أن يديم المودة بيننا، وأرد جَميلَك عليّ.

مروان (باستنكار): أي جميل يا رجل! نحن إخوة (**يرفع الصك**) هيا، اقرأ الصك جيدا، فهذا حقك.

سليمان (ممسكا الصك، ويقرؤه بخفوت): نعم، كل شي مسجل فيه، قيمة المال، والشاهدين (يرفع عينيه) وأيضا اسمك وتوقيعك يا مروان.

مروان (بحماس): كل شي جاهز. (**يدعو الشاهدين**) هيا وقعا على الصك أمام الحاج سليمان، ليسافر مطمئنا.

محمد وزيد (يمسكان القلم): تذهب وتعود بسلامة الله إن شاء الله.

(يقف سليمان متأهبا للانصراف، ويقف الآخرون يودعونه معانقين إياه)

(إظلام)

(تظهر – صور أو أفلام - مختلفة لسفينة الحجاج تمخر عباب البحر، ثم قافلة الجمال تحمل الحجيج في طريقهم إلى مكة، ثم مشهد الحجاج حول الكعبة، وفي جبل عرفات، وفي منى، ومن ثم العودة ثانية، وفي الخلفية صورة التاجر سليمان، بلباس الإحرام، ثم مرتديا جلبابا جديدا أبيض، متدثرا بعباءة سوداء، وهو عائد إلى بلده، ومعه زوجته بحجاب أبيض حيث تتداخل صورتهما مع صورة سفينة ترسو في ميناء سوسة.

(نرى التاجر سليمان ومعه زوجته زبيدة وهما في منزلهما في تونس، حيث يلتف حولهما أولادهما، وهناك عدد من المهنئين رجالا ونساء وأطفالا، وقد ازدانت جدران المنزل بزينة بسيطة، تبدو الفرحة في الوجوه، ويرتفع صخب الأطفال، وتعلو عبارات المهنئين، يجلس التاجر سليمان، ومعه زوجته زبيدة)

عبد السلام: مرّ أسبوع على وصولك بحمد الله، ماذا نويت يا حاج سليمان؟

سليمان: سأعود إلى تجارتي، ودكاني، وأتابع أحوالي.

زبيدة: خير إن شاء الله. (بتساؤل) لماذا لم يحضر التاجر مروان لتهنئتك بالعودة من الحج؟!

سليمان: ربما يكون مشغولا أو لديه ظروف تمنعه من الحضور. الله أعلم بأحواله.

زبيدة: ربما، ولكن عليك أن تتابع الموضوع معه. لقد تركت كل أموالك عنده.

سليمان: لا تقلقي، كنا في رحلة طاعة لله، والله يحفظ عباده الذين خرجوا في طاعته، وطلبا لرضاه. **(مكملا حديثه)** عموما، سأذهب له غدا، وأستفسر منه عن أحواله.

زبيدة: سهّل الله لك أمورك يا حاج.

(في محل التاجر مروان، حيث يجلس التاجر أمام دكانه، ومعه بعض الزبائن، يأتي إليه سليمان، وقد حمل هدية في يده)

سليمان: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مروان (واقفا ببرود): وعليكم السلام.

سليمان (محاولا احتضان مروان بحب فيعانقه مروان بجفاء): كيف الحال يا أخي الحبيب؟ وما أخبارك وأخبار الأهل والولد؟

مروان (بتجهم): هم بخير.

سليمان (متعجبا): ما هذه المقابلة؟ لماذا وجهك متغير؟ لم تقل لي حمدا لله على سلامتك من الحج.

مروان (متعلثما): لا، لا شي. حمدا لله على سلامتك..، حج مبرور.

سليمان: الله يسلمك، لقد أحضرت لك هدية من الحجاز، هذا جلباب أبيض، أتمنى أن يعجبك يا أخي، ومعه أيضا طاقية، وشال. **(يبسط الهدية).**

مروان (بوجه جامد): أشكرك، أشكرك، تعبت نفسك.

سليمان (مواصلا): لا شكر على واجب.

مروان: يا أهلا بك. ماذا تشرب؟

سليمان: جزاك الله خيرا، لا شيء. أردت السلام عليك. ولي طلب بسيط.

مروان: سلمك الله. خيرا، ما طلبك؟

سليمان: أبدا، أريد مالي الذي تركته وديعة عندك قبل سفري للحج ؛ حتى أعود لتجارتي وأعمالي، وأفتح دكاني المغلق.

مروان (باستغراب): أي مال؟

سليمان (بقلق وضيق): مالي، عشرة آلاف دينار.

مروان: أنا أخذتها منك؟! هذا كلام غريب.

سليمان: نعم؟ هل تريد أخذ أموالي وأموال عيالي؟ حرام عليك.

مروان (منكرا): أي مال؟

سليمان (واقفا صارخا): ألم أعطك عشرة آلاف دينار قبل سفري، هنا في هذا المكان، وكان هناك شهود؟ **(يتجمع الناس على صوتهما العالي)**

مروان (زاعقا): لم يحدث، أنت تتهمني بالكذب؟ اشهدوا يا ناس، يتهمني بالسرقة، وأنا ما أخذته منه أي شيء. عندك دليل؟

سليمان (بجنون): معقول! تسرق كل أموالي! يا ناس، أنا أخذت عليه صكا وهو موقع عليه، وفيه شهود.

أحد الناس: هل معك صك أو دليل أو شهود؟ قدمه، حتى لا تتهمه بالباطل.

مروان (هازئا): أي صك؟ وأي شهود؟

سليمان (يخرج الصك من جيبه): اشهدوا يا ناس، هذا هو الصك، بخط يده، مكتوب فيه أنه أخذ عشرة آلاف دينار، وعليه إمضاؤه.

مروان (برود): أعطني الصك..، أتحدى أن يكون توقيعي أو خطي.

سليمان: لن أعطيك الصك، سأذهب به للقاضي.

مروان (مستهزئا): هيا للقاضي، اشهدوا يا ناس، أنا أطلب منه نروح للقاضي، لقد زوّر الصك، واتهمني بالباطل، وأنا تاجر شريف.

أحد الواقفين: كلام صحيح يا مروان، اذهبا للقاضي، وهو يحكم بينكما.

سليمان: طبعا سأذهب للقاضي، وسآخذ حقي إن شاء الله.

مروان: وأنا معك.

أصوات متداخلة: ونحن جميعا معك.

(يتحرك الجميع مغادرين، ثم إظلام المشهد، وفي ركن آخر من المسرح، يضاء بنفس الشخصيات السابقة، في مجلس القاضي، حيث يجلس القاضي على مقعد، ويقف حوله الناس)

القاضي: خيرا، ما سبب العراك بينكم؟

سليمان (بحرقة): يا حضرة القاضي، يا شيخنا الفاضل، أنقذني، أعطني حقي من هذا الرجل **(يشير لمروان)**.

مروان (صائحا): أنت أنقذني أنت يا سيدي القاضي من اتهام هذا الرجل، يريد أن يأخذ أموالي بغير حق.

القاضي: اصبرا، نريد أن نتعرف الأمر. من المدّعي؟ وما شكايته؟

سليمان (بهدوء متصنع): أنا يا شيخنا سليمان أبو داوود، تاجر في المدينة، سافرت الحج، وأودعت أموالي عند مروان الأسلمي، وأعطاني صكا بذلك، وهناك شاهدان على ما حدث. وهذا هو الصك فيه اسمه وخطه والشاهدان.

القاضي (ممسكا الصك): كم المبلغ؟

سليمان: عشرة آلاف دينار.

القاضي: ياه، هذا مبلغ ضخم. (متوجها إلى مروان) وما ردك يا مروان؟

مروان (باكيا): هذا ظالم، ما أخذت منه شيئا.

القاضي: وهذا الصك، فيه اسمك وتوقيعك وهو بخطك.

مروان (يزداد بكاء): أبدا والله العظيم، ليس خطي ولا توقيعي.

القاضي: والشاهدان؟

مروان: أحضرهما واسألهما.

القاضي (متوجها إلى الحاجب): أرسل من يحضر هذين الشاهدين، وأحضر لي خبير الخطوط لدينا.

الحاجب: أمرك يا شيخنا. **(مخاطبا الحرس)** نادوا على الحاج علي -مختص فحص الخطوط-؛ ليحضر مجلس القاضي سريعا من غرفته.

القاضي (يقرأ من الصك): سجّل اسمي الشاهدين: الأول: محمد عبد الفتاح بن خالد ومهنته خياط، والثاني: زيد أحمد بن برهومي، ومهنته بائع قماش، ومحلاهما في السوق خلف الجامع الكبير، كما هو مدون في الصك الذي قدمه المدّعي سليمان أبو داوود.

(يسجل الحاجب الاسمين، والعنوان، ثم ينادي على أحد الجنود كي يحضر الشاهدين، فيما يدخل خبير الخطوط الحاج علي)

الحاج علي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(الجميع يردون السلام بأصوات متداخلة)

القاضي: أهلا يا حاج علي، نريدك أن تعرف هل الخط في هذا الصك هو خط المدعو: مروان السلمي، محل الاتهام أم لا؟ **(يشير إلى مروان)**

(يتناول الحاج علي الصك ويقرؤه، ثم ينظر إلى مروان بتمعن)

الحاج علي (لمروان): هل يمكنك أن تكتب هذا الصك بخطك الآن؟

مروان (مرتبكا): لماذا؟

الحاج علي: حتى أقارن بين خطك والخط المكتوب به الصك؟

القاضي: هذا إجراء متبع يا مروان.

مروان: حسنا، سأكتب ما تريدون.

الحاج علي: اكتب هنا، فوق هذه الطاولة **(يشير لطاولة جانب القاضي)** ، واكتب بخطك العادي، دون أي محاولة للتغيير.

(يجلس مروان على مقعد خلف الطاولة، ويشرع في الكتابة، فيما يراقبه الحاج علي بتفحص، تمر فترة صمت، نسمع فيها حفيف القلم فوق الورق، حتى ينتهي، وينـاول ما كتب إلى الحاج علي، الذي يجلس جانب القاضي، ويقارن بين الصك وما سجله مروان بتمهل).

القاضي: هل لديك معرفة سابقة يا سليمان بمروان؟

سليمان (بوجه بائس): طبعا يا سيدي القاضي، هل أعطي كل أموالي لمن لا أعرفه، إن محلي مقابل محله، وبيننا عِشرة كبيرة منذ سنين.

القاضي: هل هذا صحيح يا مروان؟

مروان (متلجلجا): طبعا أعرف سليمان، هو جاري، ولي معرفة سابقة به، وكل شيء تحطم الآن، لأنه يتهمني في شرفي وكرامتي، هو يهمل في أمواله، ويتهم الأبرياء مثلي بالظلم.

سليمان (رافعا إصبعه): حسبي الله ونعم الوكيل، هل أتهمك زورا وأنا عائد من الحج منذ أسبوع، اللّهُمَّ اشهد، واشهدوا جميعا.

مروان (هازئا): ومن يضمن لنا أنك حججت بالفعل؟!

سليمان: تشكك في حجّي بعد! الطف بنا يا رب.

القاضي (متدخلا): عيب هذا الكلام، نحن نحقق في واقعة محددة، وفيها دليل وشهود، وسنفحص هذا كله الآن.

(يدخل الحارس الذي ذهب لإحضار الشاهدين)

الحارس: لقد وصل الشاهدان يا شيخنا.

القاضي: حسنا، أدخلهما.

(يدخل الشاهدان: محمد وزيد)

الشاهدان: خيرا، ماذا حدث؟ هل أذنبنا في شيء؟

القاضي: خير إن شاء الله، كل واحد فيكما، يذكر اسمه وعنوانه ومهنته.

محمد: أمرك يا سيادة القاضي، أنا محمد عبد الفتاح بن خالد، أعمل خياطا، ومحلي في السوق خلف الجامع الكبير، وأسكن قرب محلي.

زيد: أنا زيد أحمد بن برهومي، أعمل بائع قماش، ومحلي خلف الجامع الكبير، وأسكن في حارة الشيخ الحسن.

القاضي **(متوجها إلى سليمان)**: هل هذان هما الشاهدان اللذان شهدا على الصك أمامك؟

سليمان: نعم هما، أدعو الله أن يظهر الحق.

القاضي (ناظرا إلى محمد وزيد): هل تعرفان سليمان أبو داوود الواقف أمامكما الآن؟ (يشير إلى سليمان).

الشاهدان (في صوت واحد): نعم نعرفه، إنه تاجر في السوق.

سليمان (صارخا): انظر يا سيدي القاضي، لقد اعترفا أنهما يعرفاني، وهما الشاهدان على الصك.

الشاهدان (باستغراب): أي صك؟

القاضي: هل شهدتما على صك بين سليمان أبو داوود، ومروان الأسلمي، وفيه أن مروان الأسلمي أخذ عشرة آلاف دينار ذهبية من سليمان وديعة وأمانة، على أن يعيدها إليه عندما يعود من الحج؟

الشاهدان: لا، لم يحدث.

القاضي: هل تعرفان مروان الأسلمي؟

الشاهدان (بثقة): نعم نعرفه هو صديقنا، ونجلس معه دائما.

القاضي: ما سبب معرفتكما بمروان؟

زيد: إنه تاجر خيوط وأنا خياط أشتري منه.

محمد: وأنا عرفته ؛ لأنني أشتري منه أحيانا خيوطا لبيعها في محلي لمن يشتري القماش مني.

القاضي: في الصك، توقيع لكل واحد منكم.

الشاهدان: أين هذا؟

(يأخذ القاضي الصك من الحاج علي،ويناوله لهما، فينظر كل واحد في الصك)

القاضي: هل هذا اسمك وتوقيعك يا محمد؟

محمد: نعم اسمي، ولكن ليس توقيعي.

زيد: صحيح هو اسمي، ولكن ليس خطي ولا توقيعي.

الحاج علي: اسمح لي يا مولاي أن يكتب كل واحد منهما اسمه وتوقيعه حتى أتأكد من الخط.

القاضي: صحيح يا الحاج علي. هيا، نفذا المطلوب منكما.

(يتقدم الشاهدان ويكتبان اسميهما وتوقيعيهما أمام خبير الخط)

القاضي (ناظرا إلى سليمان): ما رأيك يا سليمان؟ هما ينفيان ما تقول.

سليمان (كالمجنون): لا يمكن أن يتم هذا، مستحيل، تضيع أموالي، وأصبح فقيرا، حسبي الله ونعم الوكيل، والله العظيم شهدا على الصك أمامي،أقسم بالله.

القاضي (مستطلعا رأي الحاج علي): والآن يا حاج علي، ما رأيك؟

الحاج علي (ممسكا الصك والأوراق بيده): لقد فحصت الخطوط جيدا، وأرى يقينا أن الخط المكتوب في الصك ليس خط مروان الأسلمي، ولا توقيعه، وكذلك الأمر مع توقيع الشاهدين.

القاضي: هذا يعني أن الصك مزيف.

سليمان (صارخا): ماذا؟ معقول؟! الصك مزيف. فعلتَها فيّ يا مروان؟ لقد نصبتَ عليّ وأعطيتني صكا مزيفا. **(يتهجم على مروان)**

مروان (مستغيثا بالحرس): احموني منه يا مولاي، انظروا، يريد أن يقتلني بعدما ثبت أنه كذاب، ويتهمني بالباطل.

القاضي (آمرا): سليمان، احفظ لسانك، ويدك، وإلا حبستُكَ؟

سليمان: وحقي؟ أموالي؟

مروان (مستئذنا): الحمد لله يا شيخنا القاضي، ظهر الحق، اسمح لي أن أعود لمحلي، وأرجو أن تحموني من هذا النصاب الكذاب ؛ أخاف أن يتهجم علي ويسرق أموالي أو أن يقتلني.

القاضي: لا تخف، والشرطة ساهرة على أمن المجتمع، اذهب الآن.

الشاهدان: ونحن، هل تريد منا شيئا يا شيخنا؟

القاضي: أشكركما، يمكنكما الانصراف.

(يخرج مروان والشاهدان، فيما يجلس سليمان على الأرض باكيا)

سليمان: والله، كل ما قلتُه حدث، لماذا أتهمهم؟ والله كل هذا حدث.

الحاج علي: اسمح لي سيدي القاضي. **(متوجها لسليمان)** يبدو أنك رجل طيب، ولكن الصك مزيف بالفعل، وليس خطهم.

القاضي: دعني أسألك سؤالا واحدا. هل كتب مروان الصك أمامك؟ وهل وقّع الشاهدان على الصك أمامك؟

سليمان (متذكرا): آه، صحيح، لقد قدّم لي مروان الصك مكتوبا جاهزا.

الحاج علي: هل وقعه أمامك؟

سليمان (متذكرا): لا، ولم أشك لأنه جاري في المحل الذي يجاورني، وقال لي: إنك متعجل.

القاضي: والشاهدان، هل وقعا أمامك على الصك؟

سليمان (متذكرا): نعم، هذه أذكرها جيدا.

الحاج علي: وقعا على الورق أما تظاهرا بالتوقيع؟

سليمان (يتذكر): لقد أمسكا القلم أمامي، وربما وقعا أو لم يوقعا، لا أذكر تحديدا، ولكن كل واحد أمسك الصك وحرّك القلم أمامي على الورقة.

القاضي: ربما تظاهرا، ولم يوقعا.

سليمان: إذن، ما الحل؟

القاضي: لا حل عندي، أي اتهام لابد أن يكون بدليل موثق. ودليلك مزيف، والشاهدان لا يعرفانك وأنكرا الحادثة. ولولا أني أراك طيبا، لقبضت عليك بتهمة التزييف والادعاء الكاذب.

سليمان (يواصل نحيبه): حسبي الله ونعم الوكيل.

القاضي: لا تقنط يا أخي، وعسى الله أن يعوضك خيرا.

(ينصرف سليمان، وهو يردد: حسبي الله ونعم الوكيل، ويضرب كفا بكف، ثم يظلم المشهد، وينفتح على الحكيم ومعه الطفلان: هيثم وزهرة)

هيثم: ياه، هكذا تكون المؤامرة.

زهرة: حرام هذا، الكل تآمر على الرجل.

الحكيم: نعم يا أحبابي، هذا ظلم ولا شك، ولكن على من يقع الخطأ.

هيثم: على مروان والشاهدين طبعا.

زهرة: لا هيثم، وعلى سليمان أيضا.

هيثم: لماذا؟

زهرة: لأنه لم ينتبه لخديعة مروان منذ اللحظة الأولى.

هيثم: إنه جاره في المحل والسوق، ولهما سنون في العلاقة بينهما.

الحكيم: نعم يا هيثم، إن حسن الظن أمر طيب، ولكن الحرص واجب.

زهرة: المثل العربي يقول: احرص ولا تخوّن.

الحكيم: أحسنت يا زهرة، أي ننتبه للناس ولا نتهمهم بالتخوين.

زهرة: لقد خدع مروان سليمان: صك مزور، وشاهدين كاذبان.

الحكيم: واستطاع أن يجعل الشاهدين يخدعان سليمان في التوقيع.

هيثم: وهكذا تضيع ثروة الرجل المسكين، الذي ذهب للحج.

الحكيم: انظرا يا أحبابي، لقد اكتملت الجريمة كما توهم مروان وصاحباه، وفرّ المجرم من العدالة بمكر وخبث، ونجح فيما أراد.

زهرة (متأثرة): إن ما يحزنني الخيانة من جار لجاره، وصديق لصديقه، وكيف أن مروان خطط هذا التخطيط ليأخذ مال صديقه.

هيثم: وما النتيجة إذن يا أستاذنا؟ ألا يوجد حل لهذا الرجل المسكين؟

الحكيم: إذن صدق سؤالك الأول يا هيثم ؛ لقد نجح المجرم بأساليبه التي تفنن فيها، وبالفعل يوجد حل، ولكن بطريقة مختلفة.

(يضاء جانب من المسرح، حيث نرى سليمان في منزله مع زوجته زبيدة وحوله أولاده الصغار يلعبون، وقد جلس على الأرض صامتا، وركبته الهموم)

زبيدة: خيرا يا سليمان، ماذا ستفعل؟

سليمان: كل شي بقضاء الله.

زبيدة: حمدا لله على قضائه، ولكن لتعملْ من أجل أولادنا، وحتى تستمر حياتنا.

سليمان: ليس لدي مال لأعمل.

زبيدة: يمكنك أن تفتح الدكان، وتبيع أي شيء.

سليمان: صعب! لقد كنت تاجرا ميسورا.

زبيدة: فكّر فيما أقول.

سليمان (متفكرا): يمكنني أن آخذ بضاعة من بعض التجار بالأجل، وأبيعها ثم أسدد ثمنها.

زبيدة: هذا ما أقصده.

سليمان: ولكن الربح بسيط في هذه الحالة.

زبيدة: نرضى به.

سليمان (بغيظ): وهل أترك أموالي تذهب بهذه البساطة.

زبيدة: وماذا بيدك أن تفعل؟

سليمان: لابد أن أفكر في طريقة أسترد بها حقي.

زبيدة: نعم، لا تسكت عن حقك. (تصمت مفكرة، ثم تقول) لماذا لا تشكوه إلى شخص آخر غير القاضي؟

سليمان: إن القاضي هو المختص بالنظر في الشكاوي، وأنا بلا أدلة ولا شهود.

زبيدة: اذهب إلى الوالي، حاكم المدينة، هو رجل طيب، وذكي، واعرض عليه المشكلة، ربما يكون لديه حل.

سليمان (متشككا): أي حل، والقاضي قد حكم بيننا.

زبيدة: لن تخسر شيئا، اذهب له، لعل الله يجعل لك مخرجا.

سليمان: سأحاول، المهم سأفتح دكاني، لتستمر بنا الحياة.

(مشهد السوق، حيث نرى دكان سليمان مواجها لدكان مروان، يجلس سليمان أمام دكانه، يعرض بعض الأقمشة، والملابس البسيطة، فيما مروان ينظر له بشماتة، ومعه محمد الخياط وزيد تاجر القماش)

مروان (بصوت عال مستهزئا): آه يا ليل يا عين، على الحظ " الشين ".

محمد (ضاحكا): الحياة فرصة، والشاطر يلعب ويفوز.

زيد (زاعقا): يا جماعة، الدنيا شطارة، والشطارة راحة طول العمر.

سليمان (متطلعا بحسرة لهم، ثم يتقدم إلى وسط المسرح وحيدا): حسبي الله ونعم الوكيل. اللّٰهُمَّ أجرني في مصيبتي وعوضني خيرا. **(يتقدم للإمام)** ولكن ماذا أفعل؟ هل أسكت على أموالي تضيع مني بحيلة ومكر؟ لقد أدركت الآن الخديعة، إنهم ثلاثة أصحاب، عصابة واحدة، لاشك أنهم تقاسموا المال بينهم، بعدما تآمروا عليّ، وها هم الآن يضحكون ويستمتعون، وقد أكلوا مالي، حسبي الله ونعم الوكيل. **(يتذكر)** آه، لقد ذكرت لي زبيدة زوجتي أن أذهب للوالي،إنه رجل طيب، وذكي، والكل يشهد بذلك، سأذهب له وأشك الظلم بعد شكواي لله سبحانه. لن أخسر شيئا، سأذهب وأحكي له. ولكن ماذا لو قال لي إنني بلا دليل ولا شهود. سأقول له: لقد كانت مؤامرة، واستغلوا غفلتي، وحسن ظني بهم. نعم سأقول له ذلك. سأذهب.

(إظلام)

(ينفتح المشهد على مجلس الوالي، حاكم المدينة، حيث يجلس على مقعد فخم، وحوله الحرس، وبجانبه الحاجب وبعض الأعوان)

الحاجب: مولاي، هناك رجل بالباب، يطلب لقاءكم، ويقول إن له مظلمة.

الوالي: قل له يذهب للقاضي.

الحاجب: لقد ذهب للقاضي فعلا، ولكنه لم يستطع نيل حقه.

الوالي: لماذا؟ هل يشكو القاضي لنا؟

الحاجب: لا، وإنما يقول لقد كانت مؤامرة عليه، من صديق له. إنه حزين جدا، ويقول إن الدنيا أُغْلقت في وجهه.

الوالي: أدخله، ونسمع منه.

(يدخل سليمان، حزينا، مترددا، يتطلع للوالي ولمن حوله)

سليمان: السلام عليكم جميعا ورحمة الله وبركاته.

الوالي ومن معه: وعليك السلام ورحمة الله.

الوالي: ما اسمك يا أخي؟

سليمان: سليمان..، سليمان أبو داوود، تاجر في السوق.

الوالي: أهلا وسهلا. خيرا، ماذا عندك؟

سليمان: لقد سافرت للحج يا مولاي، وأودعت كل أموالي وهي عشرة آلاف دينار، بعدما صفيت تجارتي عند جاري في السوق، وكتب لي صكا وأحضر شاهدين، ولكن عندما عدت وطالبته بالمال أنكر، وعندما ذهبت للقاضي اكتشفت أن الصك ليس بخطه ولا توقيعه، ولا توقيع الشاهدين. كانت مؤامرة علي، وأعترف أنني كنت مخطئا، ولكن هل أترك أموالي تضيع؟

الوالي (متفكرا): وهل فحص القاضي الصك وأحضر الشاهدين؟

سليمان: نعم، وتستطيع أن تراجعه في ذلك.

الوالي: سننظر في الأمر. ابقَ في دكانك، وسنرسل لك.

سليمان (بتردد): سمعا وطاعة يا مولاي.

(إظلام)

(نفس الديكور السابق، حيث يدخل سليمان بقلق على الوالي)

سليمان: السلام عليكم ورحمة الله، يا سيدي الوالي.

الوالي (مبتسما): وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، أهلا بك يا سليمان.

سليمان: لقد أرسلت في طلبي يا سيدي.

الوالي: نعم، لقد أرسلت رجالي، وعيوني، ليتعرّفوا أمرك، وقد ظلوا في السوق أياما، يسألون، ويتعرفون، حتى عرفوا أنك على حق، وأنها بالفعل مؤامرة ضدك، صاغها مروان بإحكام، مستغلا طيبتك وحسن ظنك.

سليمان (مبتهجا): جزاك الله خيرا، لقد أرحتَ بالي، آن لي أن أسترد حقوقي وأموالي، وأرفع رأسي بين الناس.

الوالي: مهلا، مهلا، ليس الأمر بهذه السهولة، لقد صاغ خديعة ومؤامرة، ولا يمكن أن آمره برد مالك دون دليل.

سليمان: أنت الوالي! بيدك كل شيء!

الوالي: وما دمت أنا الوالي، هل أقوم بعمل ضد النظام والقانون؟

سليمان (بحرقة): سيدي الوالي، لقد تأكدت بنفسك أنه خدعني، هو ومن معه. هل ستتركه يلهو بأموالي؟

الوالي (بابتسامة هادئة): إذا كان هو قد انتصر عليك بالخداع والحيلة، فسنحاربه بنفس سلاحه.

سليمان: كيف، سيدي الوالي؟

الوالي: سأخبرك بالطريقة، ولكن عليك أن تنتبه لها جيدا، وتكون في غاية السرية. **(ناظرا للحاجب)** لا تدخل علينا أحدا.

الحاجب: أمرك يا مولاي.

الوالي (متوجها إلى سليمان): اسمع، سنقوم بعمل خطة، أتمنى أن تعيها جيدا، لأن نجاحها في قدرتك على الإخفاء والحيلة.

سليمان: أنا رهن إشارتك يا مولاي.

الوالي: إذن، اسمع وأدرك جيدا ما أقوله.

(يدخل الوالي في حوار مع سليمان، بصوت منخفض، فيما ينصت سليمان إليه مطئطئا رأسه، وتنخفض الإضاءة تدريجيا ثم إظلام)

***

(ينفتح المشهد على السوق، حيث نرى دكان سليمان ومروان، والناس غادون ورائحون، يجلس سليمان أمام دكانه الذي امتلأ دكانه ببضاعة جديدة، فيما جلس سليمان أمام دكانه، مرتديا ثوبا فخما، ويتحدث مع زبائنه بضحك، بينما ينظر مروان إليه متعجبا ومعه محمد وزيد)

مروان: ماذا حدث لصاحبنا؟! فجأة، وخلال أسابيع، يعمّر محله بالبضائع، ويلبس ثوبا جديدا فخما، والزبائن تملأ محله.

زيد (هامسا): الناس تقول إن له قريبا يسمى الحاج محمد بنعبد العالي، أحد كبار تجار مدينة القيروان، وهو صديق للوالي، ولما علم بما حدث لسليمان، أرسل له أموالا كثيرة وساعده.

محمد (مواصلا): بل يقولون إن قريبه هذا صديق للوالي، وقد عرّفه على الوالي، وبات سليمان من أصدقاء الوالي أيضا.

مروان: معقول! سليمان يكون له كل هذا!

زيد: المشكلة أنه أصبح من أصدقاء الوالي.

مروان: وما المشكلة في ذلك؟

محمد (بخوف): ما المشكلة؟! (ها ها ها) تخيل أنك صرت من أصدقاء الوالي، وأصبحت من حاشيته، والمقربين منه.

زيد: نعم، أصبح لك نفوذا كبيرا، وصلات مع رجال الشرطة، وكبار التجار وغيرهم.

محمد (بحسد): يبدو أن الدنيا ستضحك لك سريعا.

مروان (هازئا): أنا لا أصدقك هذا الكلام، كلام لا يعقل أبدا. أنا أعرف سليمان من سنين، ليس له في هذا اللون.

زيد: كيف؟

مروان: سليمان دائما في حاله، قليل الكلام، لا يختلط بالتجار، ولا يذهب إلى الحكام، هو رجل بسيط، وليس له في هذه الحكايات.

محمد (متعجبا): ومن أين جاءته هذه الأموال الكثيرة؟

مروان: أبدا، لقد سمعت أنه يأخذ بضاعة بالأجل، والأقساط.

زيد: بالأقساط؟

محمد: معقول؟!

مروان (هازئا): نعم، هذا هو الموضوع، أنا أعرفه جيدا، مسكين، وساذج.

(إظلام)

(نفس الديكور السابق،ونرى سليمان أمام محله، ومروان معه زيد ومحمد، يرتفع صوت المنادي معلنا مرور الوالي)

المنادي: أيها الناس، أيها الناس، والينا وحاكمنا الكريم، سيتفضل بالمرور في السوق، نظموا بضائعكم، ونظفوا شوارعكم، ورحبوا باليكم.

مروان: ما الخبر؟ الوالي لا يمر في السوق إلا نادرا.

زيد: هو معتاد على المرور كل شهور.

مروان: ولكنه يفضل المرور في السوق الكبير.

محمد: هيا، ننظّم البضاعة، وننظف أمام المحل.

(ينشغلون بتنظيم البضاعة، والتنظيف أمام المحل، فيما يرتفع صوت المنادي معلنا قدوم الوالي، حيث يبرز موكب الوالي، ونرى عددا من الجنود يتقدمون الموكب، ثم يبرز الوالي راكبا عربة خشبية يجرها الخيل أو بعض الجنود، يقف الناس في السوق احتراما للوالي [ويمكن أن ينفذ هذا المشهد عبر تقنية السينما] يستمر مسيرة الوالي حتى يقف أمام محل سليمان، الذي يهرع إليه مسلّما عليه، حيث يرتفع صوتهما بالحوار، فيما مروان ورفيقاه يتناقشان)

الوالي: أهلا بالحبيب، كيف الحال؟

سليمان: الحمد لله يا سيدي الوالي. شرف لنا قدومك إلى دكاننا البسيط.

الوالي: أنت غال، ومن طرف صديقنا الغالي الحاج محمد بنعبد العالي، ونعم الرجال هو، ونعم التجار هو.

سليمان: يسلّم عليك كثيرا الحاج محمد، ويدعو لك بالخير.

الوالي: سلامي له، وأرجو أن تمر علينا في مجلسنا، لنكرمك، ونأنس بوجودك دائما يا حاج سليمان، سلام الله عليك.

سليمان: وعليك السلام يا مولاي.

(ينصرف الوالي، فيما نسمع الحوار بين مروان ورفيقيه)

زيد: أرأيتما، صدق كلام الناس.

محمد: نعم، صار سليمان من المقربين للوالي.

زيد: أين كلامك يا مروان؟ لقد صدق كلام الناس في السوق. هنيئا لك يا سليمان.

مروان (بغيظ): إنني متعجب، كيف لهذا الرجل الذي خدعناه أن يصل للوالي؟ ويصبح من المقربين منه؟!

زيد: عن طريق قريبه التاجر الكبير.

مروان: ولكنني لم أسمع منه أبدا عن هذا التاجر!

محمد: لأنه كما قلت بسيط، وغير مهتم بهذه الأمور.

مروان (بثقة مصطنعة): عموما، نحن في حالنا، وهو في حاله.

محمد (هازئا): ماذا تقول؟ وهل تظن أن سليمان سيتركك في حالك؟

زيد (مكملا): بعدما فعلنا فيه ما فعل.

مروان: وماذا سيفعل؟

محمد: يكفي أن يحكي القصة للوالي، وسيصدقه الوالي، وتكفيه أيضا وساطة قريبه التاجر الكبير.

مروان (بخوف): وماذا يعني هذا؟

زيد (مرعوبا): يعني أننا جميعا مهددون.

مروان: ولكن القاضي برّأنا؟

محمد (مكملا):... والوالي صديق لسليمان، وأيهما أقوى، الوالي أم القاضي؟

زيد (بخوف أشد): طبعا الوالي، ويستطيع أن يسلّط علينا الشرطة، ورجاله، وأفراد حاشيته من التجار والأعيان، وندخل في مشاكل كثيرة، وقد يمنعون بضائعهم عنا، ويمنعون الناس من الشراء منا.

زيد: ويمكن أن يكون قد حكى للوالي نفسه، وقد يكون الوالي ينظر في أمرنا قريبا، ليرى كيف يجازينا.

محمد:... ولن نقدر على مواجهتها.

مروان (وقد تملكه الخوف): وماذا سنفعل؟

زيد: لابد أن نتصالح مع سليمان.

مروان: وكيف نصالحه وقد حدث منا ما حدث؟

محمد: تقصد يا زيد أن نعيد أمواله؟

زيد (برعب): أنا عن نفسي سأرجع نصيبي من المال له، وخاصة أن ضميري يؤنبني على ما فعلته مع هذا الرجل.

محمد (بتردد): وأنا أيضا، لا نريد مشاكل، وقبل أن يتخذ الوالي أي تصرف معنا، لا نريد عقوبة أو سجنا أو تشهيرا بين الناس.

مروان: وكل ما فعلناه يضيع، إن نصيبي من الأموال في تجارة وبضائع.

زيد ومحمد: أنت حر، سنذهب نحن.

مروان: لا، لا تذهبا، سأتصرف وأعطيه أمواله، انتظروا عليّ.

(إظلام)

(نفس الديكور السابق،ونرى سليمان أمام محله، حيث يأتي مروان ومحمد وزيد، حاملين لفات قماشية بها المال)

مروان: السلام عليك يا حاج سليمان.

سليمان (متعجبا): أهلا وسهلا، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

مروان: كيف الحال يا حاج؟

سليمان: بخير والحمد لله.

زيد (بمودة): بصراحة، نريد أن نعتذر لك.

سليمان: تعتذرون لي؟

محمد: أجل، على ما حدث منا.

سليمان (غير مصدق): ما حدث منكم؟!

مروان: نعم، لقد راجعنا أنفسنا، وعلمنا أننا أخطأنا في حقك، فأرجو أن تسامحنا، وسنرد لك أموالك كلها.

سليمان: جزاكم الله خيرا، ولكن لماذا فعلتم ذلك؟

زيد: تبنا إلى الله، وعلمنا أن المال الحرام لا يدوم.

محمد: المهم أن تقبل اعتذارنا وتسامحنا.

مروان: ونعدك أن نكون أوفياء لك. وأرجو أن نعود كما كنا، جيران أصدقاء.

سليمان (وهو يتناول المال سعيدا): إن شاء الله، لقد كان درسا تعلمنا كلنا منه الكثير والكثير، سامحكم الله تعالى.

(يظلم المشهد، وينفتح على الحكيم ومعه الطفلان: هيثم وزهرة)

الحكيم: ما رأيكما يا حبيبيّ فيما حدث؟

زهرة: استطاع الوالي أن يتأكد من خديعة مروان لسليمان، ولذا فقد ناصره إلى النهاية، وبخديعة بسيطة.

هيثم: إن خديعة الوالي فعلا بسيطة، فقد أظهر مناصرته لسليمان وصداقته له، وبالتالي تخويف مروان.

الحكيم: والأهم، أن الوالي، تأكد بنفسه وعبر عيونه أن سليمان تعرّض لخديعة كبيرة، وهذا ما جعله يسارع لنجدة سليمان.

زهرة: إن ما ذهب بالحيلة يأتي بالحيلة، ولكن حيلة الشرير شر عليه وحيلة الطيب خير له.

هيثم (مكملا):...وأنه لا يأس مع من يحاول ويجتهد، مهما كان العدو مكارا.

الحكيم: والأهم من هذا، أن مهما يظن الإنسان نفسه ذكيا، فهناك من هو أذكى منه، ولا توجد جريمة دون عقاب، ولا يضيع حق مادام وراءه مطالب.

❊ ❊ ❊

المسرحية الثانية

قِدرةُ الزيتِ

(المسرحية الثانية) قِدرةُ الزيتِ

(في الركن الأيمن بالمسرح، ضوء ساطع على الحكيم والفتى " هيثم " وأخته "زهـرة " وهـم في غرفة الحكيم ذات الأثاث البسيط: طاولـة ومقاعـد وكتـب على الأرفـف، والحـوار دائـر بينهم)

الحكيم: ها يا حبيبيّ، أليست لديكم أسئلة جديدة؟

هيثم: هناك الكثير..

الحكيم (موضحا): لازلنا عند اتفاقنا، أن نسأل عن مشكلات الناس، وأحوالهم، وما أكـثر تقلبات الأحوال بنفوس البشر.

زهرة: إذن، دعني أسألك أنا يا أستاذنا.

هيثم: ولماذا أنتِ؟

زهرة: لأنك سألتَ المرة الماضية.

هيثم: هكذا؟!

الحكيم (باسما): هذا حقها، ودورها. ما سؤالك يا زهرة؟

زهرة: سؤالي بسيط، هل يمكن للفقير أن يظل فقيرا ولا يحسن استغلال نعمـة الله، فيمـا يزداد الغني ثراء، ويستغل جيدا نعمة الله.

هيثم (متعجبا): لم أفهم ما تقصدين؟

زهرة (موضحة): لقد لاحظت أن هناك فقراء قد تأتيهم نعمة ولا يغتنـون، وأتعجـب مـن ذلك، لماذا لم يستفيدوا منها؟ رغم أنها سهلة!

الحكيم: نعم، لقد فهمت سؤالك يا صـغيرتي، وبالفعـل أتعجـب معـك في هـذا، ولكـن دعونا نرى ما حدث مع الحمّال " إسماعيل " وزوجته " ميمونة " وأولادهمـا وهـم يعيشـون في مدينة بغداد، ثم نتحدث في أمرهم.

هيثم وزهرة (في صوت واحد): هاه، ماذا حدث لهما؟

(يرفع الحكيم صوته، كأنه راو، ويتجلى صدى الصوت في المسرح)

الحكيم: يحكى أن هناك حمّالا دائم الشكوى من الفقر، والأكثر شكوى منه زوجته ميمونة.

(يضاء الجانب الأيسر من المسرح، حيث يدخل " إسماعيل " وهو رجل في أواسط العمر، يرتدي ملابس قديمة، أما زوجته فهي مغبرة الوجه، مشعثة الشعر، ومعهما ابناهما، وفي البيت حصيرة بسيطة، وإناء للماء، وبعض المخدات وغطاء، ونرى الجدران مسودة، وفي ركن أوان منزلية)

ميمونة: إسماعيل، حمدا لله على السلامة.

إسماعيل: الله يسلمك يا ميمونة.

ميمونة: تأخرت اليوم؟

إسماعيل: انتظرت في السوق طوال اليوم، حتى جاءتني حمولة.

ميمونة (بابتهاج): والله؟ كم أخذتَ منها؟

إسماعيل (بفخر): ثلاثة دراهم.

ميمونة (تلوي رأسها): فقط؟ وتقولها بفخر!

إسماعيل: ألا تحمدين الله؟

ميمونة: الحمد لله، ولكنني مللت من الفقر.

إسماعيل: دائما تقولين هذا، أهم شيء الآن، هل أعددت عشاء؟ لأنني جوعان

ميمونة (بحنان): عيوني لك، لقد أعددت لك عدسا.

الابن الأكبر محمد (بزهق): عدس، مرة عدس، ومرة فول، ومرة حمص!

ميمونة: قل الحمد لله يا بني، ليزيدنا من فضله.

محمد (مستسلما): أحمدك يا رب.

ميمونة: انظر يا بني، لقد تضايقت لأننا نأكل اليوم عدسا،وهناك من لا يجده.

إسماعيل (بأسى): هذا رزق الله، صحيح أن رزقنا قليل، ولكن الحمد لله.

(يجلس على الأرض، بينما تضع ميمونة الطعام، يبدأ بالبسملة ثم يأكل وهي معه، فيما يجلس ولداه بجانبه)

ابنه الأكبر: أبي، أريد ثوبا جديدا، لقد تمزّق ثوبي.

الابن الأصغر عماد: وأنا يا أبي، أريد نعالا، لقد تمزق نعلي.

ميمونة: اتركا والديكما، فهو متعب.

محمد: أبي، أريد أن أعمل معك وأساعدك.

إسماعيل: أنت صغير، ولا تقدر على عملي، استمر مع النجار.

عماد: وأنا، هل أظل أعمل صبي حداد.

إسماعيل: اصبرا، صحيح أن رزقنا قليل، وصحيح أننا فقراء، ولكننا لا ننام دون عشاء.

محمد: لنعمل بجد يا أبي، ونزيد دخلنا، انظر إلى جارنا عم " سليم "، ماشاء الله، بيت كبير، ومحل غلال وحبوب، وعياله يساعدونه في تجارته، وهو رجل طيب، دائما يهدينا هدايا كثيرة: طعاما وغلالا.

إسماعيل: يا محمد، تعبت منك، جارنا ورث من أبيه التجارة، والمال، والبيت فلم يتعب مثلنا.

عماد: ممكن أن نعمل نحن أكثر وأكثر.

ميمونة: نعم يا إسماعيل، لماذا لا تعمل في الضواحي البعيدة، هناك تجارة كثيرة وبضائع، خاصة عند مرسى المراكب في النهر.

إسماعيل (بكسل): أفضّل أن أعمل هنا، في حيّنا، وقريبا من بيتنا. هيا كلوا، وكفاكم كلاما، لأنني متعب وأريد أن أنام.

(إظلام)

(نفس المنظر السابق، ونرى ميمونة وزوجها)

ميمونة: قابلت اليوم في السوق ابنة خالتي " بدرية "، وهي تسلم عليك.

إسماعيل: سلّمها الله.

ميمونة: أخبرتني بدرية أن هناك شيخا طيبا في البر الغربي من النهر، عند جيل "الشوفان"، وهو شيخ له كرامات، ويحل كل المشكلات.

إسماعيل (هو يغمض عينيه نعاسا): وكيف عرفت بدرية بأمره؟

ميمونة: لقد ذهبتْ إليه، وحلّ مشكلة ولدها " الأمين "، وأنت تعرفه، كان فاشلا في كل عمل، ودائم الشجار والعراك مع الناس.

إسماعيل: وما المطلوب مني؟

ميمونة: اذهب له، قد يكون لديه حل لمشكلتنا.

إسماعيل: وهل لدينا مشكلة؟ نحن بخير.

ميمونة: يا رجل يا كسلان، انظر لحالنا، فقر في كل جانب، اذهب له، لعل الله يرزقنا على يديه.

إسماعيل: لا، لا أصدق هؤلاء المشايخ، كلهم نصابون.

ميمونة: وماذا ستخسر لو ذهبت إليه.

إسماعيل (بقرف): هل تريدنني أن أسير كل هذه المسافة، وأصعد الجبل. يا لها من مسافة بعيدة، تحتاج نهارا بطوله.

ميمونة (برقة): جرّب يا أبا محمد، وتحمّل.

إسماعيل (مواصلا):.. وطبعا الشيخ يحتاج إلى مال، ثمنا لاستشارته.

ميمونة: بدرية تقول لي: إنه رجل طيب، ويرضى بدرهم أو هدية بسيطة، ويقولون هو لا يأخذ الدرهم بل العاملون عنده.

إسماعيل: ماذا تقولين؟ درهما واحدا!

ميمونة: نعم، فلتذهب له.

إسماعيل (مفكرا): ممكن، ونجرب، ودرهم واحد بسيط.

(إظلام)

(كهف في الجبل، ونرى شيخا أبيض الشعر واللحية، يجلس على الأرض، وأمامه مبخرة يتصاعد دخانها، في ضوء خافت يميل للاحمرار، يدخل إسماعيل مترددا، ويبدو الخوف في وجهه وهو يرى ما في الكهف)

إسماعيل: السلام عليكم يا شيخ.

الشيخ (صائحا): حي، حي، الله حي، وعليكم السلام.

إسماعيل: كيف الحال يا شيخ؟

الشيخ (ضاحكا بسخرية): جئت تسألني عن حالي، أم تشتكي حالك؟

إسماعيل (لنفسه): صحيح، يبدو أن سرّه باتع، **(رافعا صوته)** فعلا يا شيخ، جئت أشتكي حالي؟

الشيخ: طبعا، فقير، محتاج.

إسماعيل: وكيف عرفت يا شيخ؟

الشيخ (بنفس ضحكته): من هيئتك طبعا، ملابس قديمة، ونعال ممزقة، وجسم ضعيف.

إسماعيل (لنفسه): معقول كلامه، فعلا هيئتي تدل على حالتي. **(محدثا الشيخ)** يا شيخ، أنا حمّال فقير على باب الله، والرزق محدود وقد جئت إليك لتساعدني.

الشيخ: لماذا لا تعمل حرفة أخرى؟

إسماعيل: لا أعرف غير حرفتي هذه.

الشيخ: ألا تتعلّم غيرها؟

إسماعيل (مستنكرا): هل أتعلّم في هذه السن؟!

الشيخ (مفكرا): ألا تريد أن يزداد رزقك؟

إسماعيل: بلى، أريد.

الشيخ: إذن، اعمل كثيرا أو ابحث عن حرفة.

إسماعيل (بضيق ورجاء): جئت إليك تساعدني يا شيخ.

(أطرق الشيخ مفكرا، ثم رفع رأسه وعيناه تلمع)

الشيخ: إذا كنت لا تريد أن تعمل، فأنا سأعطيك ما سيساعدك في حياتك.

إسماعيل (بفرحة): وما هذا يا شيخنا؟

الشيخ: سأعطيك قِدرة فيها الخير كله.

إسماعيل: قدرة؟! ماذا فيها يا مولانا؟

الشيخ: هذه القدرة فيها زيت كثير.

إسماعيل: زيت! فقط.

الشيخ: نعم، يكفيك، قل الحمد لله.

إسماعيل: توقعت أن يكون فيها مال أو ذهب أو مجوهرات أو حتى فضة.

الشيخ: القدرة فيها زيت، لا ينتهي.

إسماعيل: لا ينتهي! كيف؟

الشيخ: يا إسماعيل، هذه قدرة مباركة مسحورة، الزيت فيها لا ينضب، مهما تأخذ منها فهو يعوّض نفسه دائما.

إسماعيل: معقول!

الشيخ (بغموض): نعم، إنها مباركة مسحورة، وستكون بابا للخير لك ولغيرك.

إسماعيل: أشكرك يا مولاي، هي تنتج الزيت فقط؟

الشيخ: فقط يا إسماعيل.

إسماعيل: وأين هذه القِدرة؟

(يصفق الشيخ بكفيه، فيبدو دخان ضخم، يملأ ما حوله، ثم ينقشع الدخان عن قدرة فخارية متوسطة الحجم، مغلقة الفوهة، يمسكها الشيخ بين يديه، ثم يقدمها إلى إسماعيل الذي يتناولها والدهشة تملأ قسمات وجهه)

الشيخ: خذ هذه القدرة يا إسماعيل، واستفد بها.

إسماعيل: أنا غير مصدق ما حدث!

الشيخ: صدق، صدق، احمل القدرة، ففيها الخير لك، ولغيرك.

إسماعيل (مغمغما): إن زيتها يكفينا إلى آخر العمر. **(متوجها للشيخ)** أشكرك يا مولانا، لقد ساعدتني كثيرا.

الشيخ: الشكر لله يا بنيّ، أتمنى لك الخير في حياتك.

(إظلام)

(إسماعيل في منزله، ومعه زوجته وأولاده)

الزوجة (مبتهجة): معقول يا إسماعيل، قدرة زيت لا تنفد.

إسماعيل: إيه والله.

عماد: لن أصدق إلا عندما أرى بعيني.

محمد: هيا، نأخذ منها كثيرا ونرى.

(يحضران كوبا من الصفيح، ومعه إناء نحاسي كبير، ويبدآن في إفراغ الزيت من القدرة، حيث يملأ الزيت الإناء إلى آخره، الجميع مندهش)

عماد: معقول، كلما أخذنا منها الزيت، عادت تضخ مرة ثانية، إن جدران القدرة مسحورة، تفرز الزيت أولا بأول.

محمد: إنها رائعة، سنظل نأخذ منها الزيت دائما، ولن تنتهي.

ميمونة: ما هذا! إن الزيت يملأها، وقد يخرج منها.

إسماعيل: نعم، هذا صحيح.

ميمونة: أسرعوا بإفراغ الزيت، قبل أن يسيل للأرض.

(يتعاون الولدان في إفراغ الزيت في إناء آخر)

إسماعيل (لزوجته): أحضري كل الأواني التي لدينا.

ميمونة: لقد امتلأت الأواني التي عندنا، وهي قليلة لأننا فقراء.

محمد: وما الحل؟ هل نترك الزيت يسيل هكذا؟

عماد (مفكرا): لقد أحضرت القدرة يا أبي محكمة الغلق، ولم يكن الزيت يسيل منها، فلماذا لا نحكم غلقها؟

إسماعيل: نعم، أحسنت يا عماد. نكتم فوهتها، كما كانت.

(يتعاون الولدان والأب على إغلاق فتحة القدرة بالسدادة التي كانت عليها، ثم يحكمون الغلق بعناية، ويضعان القدرة جانبا)

ميمونة: تمام، هيا ننام، وغدا إن شاء الله موعدنا مع الملقيات، نقلي البطاطس والباذنجان في الزيت الجديد.

(إظلام)

(يضاء المشهد على نفس الديكور السابق، حيث يجلس إسماعيل وأولاده حول طبلية الطعام، وهم يأكلون)

إسماعيل: الحمد لله، توقف الزيت.

ميمونة: لدينا زيت يكفينا عاما بأكمله.

إسماعيل: هذا من فضل الله.

ميمونة: طعم الزيت حلو، بنفس طعم زيت الزيتون.

إسماعيل: هذا من فضل الله.

محمد (متسائلا): وهل نفتح القدرة العام القادم عندما ينتهي الزيت لدينا؟

عماد: بالطبع نعم.

ميمونة (منتبهة): صحيح، هل تظل القدرة مغلقة عاما بأكمله؟ إن رائحة الزيت تفوح منها.

إسماعيل: وماذا في ذلك؟

ميمونة (تضرب صدرها): سيتعطن الزيت، وقد يفسد، وأنا لا أتحمل رائحة الزيت المتعطن في البيت.

إسماعيل: ماذا تقولين؟

ميمونة (بقرف): لا أتحمل الزيت المركون، أو العطن.

إسماعيل: لا تخافي إنها قدرة مسحورة مباركة.

ميمونة: ولو كانت! لن أتحملها في بيتي.

عماد: عندي فكرة يا أبي.

إسماعيل: وما فكرتك يا محمد، ألحقني بها.

عماد: نضعها في مكان بعيد.

إسماعيل: أين؟

عماد: فوق سطح البيت مثلا.

ميمونة: في الشمس الحارة!؟ ونأخذ من زيتها العام القادم!

محمد: وماذا في ذلك؟

ميمونة: حرارة الشمس تفسد الزيت، ورائحتها ستتسرب من السطح.

محمد (مفكرا): لدينا حل آخر.

عماد: ماذا عندك يا ذكي؟

محمد: لقد لاحظت أن رائحة الزيت تختفي إذا كانت مفتوحة الفوهة، ماذا لو قمنا بتوزيع الزيت على جيراننا ولا نغلق الفوهة؟

إسماعيل: يا لها من فكرة يا محمد!

ميمونة (بخوف): وماذا سيقول عنا الجيران؟ إننا أغنياء ونوزع الزيت، وهم يعلمون فقرنا، وممكن أن يحسدونا.

إسماعيل: نعم، كذلك سيأتون كلما أرادوا زيتا لنا، وأولادهم يزعجوننا.

عماد: يا لها من مشكلة!

محمد: وما الحل؟

إسماعيل (صائحا): ليست مشكلة ولا شيء، نتخلص منها، ونلقيها في الشارع أو بعيدا في الحقول، وتكون من نصيب من يجدها.

ميمونة: ويكفينا ما أخذنا من زيت، لمدة عام.

محمد: بدلا من إلقائها، لنعطها هدية لأحد معارفنا أو جيراننا.

إسماعيل: ولماذا نأتي لنا بوجع الرأس، وسيسألنا من أين جاءتكم؟

محمد: إن جارنا عم سليم يهدينا هدايا كثيرة، لنعطها له هدية، ونشرح له الأمر بصراحة، وتكون ردا منا على هداياه الكثيرة.

إسماعيل: بارك الله فيك يا محمد، سليم رجل طيب وبيته كبير واسع، ولا يسأل كثيرا **(مفكرا)** وسأطلب منه – لو احتفظ بها – أن يعطينا زيتا كلما أردنا.

ميمونة: نعم، وزوجته طيبة، ولا تحسد ولا تحقد.

إسماعيل: إذن، غدا سأقابل " سليما " في محله، وأعطها له.

(إظلام)

(دكان غلال كبير نوعا ما، ونشاهد فيه أجولة القمح والشعير والذرة والطحين، ونلمح صاحب الدكان عم سليم مشغولا بالبيع، ومعه بعض أولاده، يقدم عليه إسماعيل ومعه محمد ابنه حاملا القدرة)

إسماعيل: السلام عليكم يا عم سليم.

سليم (منتبها): وعليك السلام يا عم إسماعيل، أهلا ومرحبا بك.

إسماعيل: كيف حالك وحال الأولاد والأهل؟

سليم: طيبون بفضل الله تعالى، آمرني يا أبا عماد.

إسماعيل (بابتسامة): الأمر لله وحده، جئت أهديك هدية بسيطة.

سليم (مستغربا): هدية لي.

إسماعيل: نعم، لماذا تستغرب الأمر؟

سليم: أبدا، لا شيء. أشكرك على أية حال.

محمد: يا عم سليم، دائما تهدينا، فأراد أبي أن يرد بعضا من عطاياك لنا.

سليم: أستغفر الله، لا عطايا ولا شيء، نحن جيران متحابون، والهدية تزيد المحبة، وتؤلف بين القلوب.

إسماعيل: إذن، إليك هذه الهدية، **(يناوله القدرة)** إنها قدرة زيت مباركة.

سليم: قدرة زيت!

محمد: إن زيتها جميل الطعم، وزيتها لا ينفد.

سليم (متعجبا غاية التعجب): زيتها لا ينفد.

إسماعيل: نعم، نعم، إنها قدرة مباركة، وهي مسحورة.

سليم: مسحورة!

إسماعيل: ومهما تأخذ منها، تجدد زيتها فورا.

سليم: غريبة هذه!

إسماعيل: وهي هدية لك يا عم سليم.

سليم: ولماذا لا تستفيد منها يا أبا عماد؟

إسماعيل: بصراحة، لقد أخذنا ما يكفينا لمدة سنة، ولأن منزلنا صغير، وزوجتي ميمونة لا تطيق رائحة الزيت، ففكرنا أن نهديها لمن نحب.

سليم: فكّر في الاستفادة منها.

إسماعيل: فكرنا كثيرا، ووجدنا أن هذا أفضل حل لها ؛ أن تكون عندك، وبيتك - ماشاء الله- كبير، ومتسع.

سليم: معقول! هذه أغرب هدية أراها في حياتي.

محمد: وسأخبرك يا عمي بطريقة غلقها لو أحببت.

سليم (ينظر في عيونهما ثم يقول مستسلما): مادمتم مصرين، إذن لا بأس، وسأحاول الاستفادة منها.

إسماعيل (بارتياح): هدية مباركة إن شاء الله **(برفق)** هل ستعطينا من زيتها لو بقيت عندك؟

سليم (مدركا الإشارة سريعا): بالطبع، فهي هدية منك.

إسماعيل: أشكرك يا أخي الحبيب، وبارك الله في القِدرة.

(إظلام)

(نفس المشهد السابق، حيث يزدحم الناس أمام دكان عم سليم، ونلمح إسماعيل وابنيه محمد وعماد، وهم عائدون من العمل)

إسماعيل (متطلعا إلى دكان سليم): ماشاء الله! لماذا هذا الازدحام أمام دكان عم سليم؟ أكثر الله من خيره.

محمد: هل تعلم ماذا يبيع يا أبي؟

إسماعيل: خيرا.

محمد: إنه يبيع الزيت بنصف سعره عن السوق.

عماد: هو يخسر بذلك!

إسماعيل: من أين يأتي بهذا الزيت الرخيص؟

محمد (ضاحكا): من قدرة الزيت المباركة التي أخذها منا.

عماد (محملقا): معقول!

محمد: إنه يحصل على الزيت مجانا.

عماد: ما معنى هذا؟ إنه يتاجر بالزيت.

إسماعيل (داعيا): يفتح الله عليه، هو رجل طيب.

(إظلام)

(في ركن بالمسرح، نرى ضوءا ساطعا على الحكيم والفتى " هيثم " وأخته "زهرة " وهم في غرفة الحكيم يتحاورون)

هيثم (صارخا): ما هذا؟ أنا غير مصدق، إسماعيل يظل فقيرا، وسليم الغني يزداد غنى وثراء.

زهرة: بل صدّق يا هيثم، لقد توقعت هذا منذ البداية.

هيثم: ماذا توقعت يا زهرة؟

زهرة: توقعت أن يظل حال إسماعيل كما هو، فهو لا يريد أن يتعلم حرفة جديدة، ولا يريد أن يعمل أبعد من الحي الذي يسكن فيه.

هيثم: ولكنه لماذا لم يفكّر مثلما فكّر عم سليم؟

الحكيم (متدخلا): أؤيد رأيك يا زهرة، لقد كان إسماعيل ضيق الأفق والتفكير، كان يمكن أن يستفيد من قدرة الزيت.

زهرة (موضحة): وهذا ما قاله الشيخ عندما أعطاه القدرة لقد قال: فيها الخير لك، ولغيرك.

هيثم: صحيح يا زهرة، وكانت استفادة إسماعيل محدودة، أراد أن يأخذ زيتا يكفيه بعض الوقت، كأنه ينظر تحت قدميه، أما عم سليم، فقد فكّر فيما ينفعه وينفع الناس من حوله.

الحكيم: إن الله تعالى يوزع الأرزاق، كل فرد حسب اجتهاده في عمله.

هيثم: ولكنني أتساءل ألا يوجد حل آخر لفقر إسماعيل؟

زهرة: لا أعلم، ولكنه في رأيي فشل في استغلال القدرة.

الحكيم: يا هيثم، يوجد حل لاشك، ولكن ألم تنتبه إلى حوار إسماعيل مع الحكيم، إنه كسول.

زهرة: وأيضا زوجته، رغم أنها دائمة الشكوى من الفقر، ولكنها لم تساعد زوجها في التفكير، وطالبته بالتخلص من القدرة.

هيثم (بضيق): نعم، المشكلة في إسماعيل وأسرته.

الحكيم: إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

(إظلام)

❊ ❊ ❊

المسرحية الثالثة

جزيرةُ الفئران

(المسرحية الثالثة) جزيرةُ الفئران

(في الركن الأيمن بالمسرح، ضوء ساطع على الحكيم والفتى " هيثم " وأخته "زهـرة " وهـم في غرفة الحكيم ذات الأثاث البسيط: طاولة ومقاعد وكتب على الأرفف، وهم مشـغولون في الحوار)

الحكيم: كيف حالكما يا حبيبيّ؟

هيثم: نحن بخير يا أستاذنا.

الحكيم (يحفزهما للنقاش): ماذا لديكما من أسئلة عن الحياة والناس؟

هيثم: الكثير بالطبع يا أستاذنا.

الحكيم: وأنت يا زهرة، ماذا عندك؟

زهرة: سأترك هيثم يسأل هذه المرة.

الحكيم: خيرا يا هيثم، ماذا عندك؟

هيثم (بحماس): إنني أفكر في أمر يحيرني، خاص بفن التعامـل مـع مخلوقـات الله العظـيم **(ينظر في عيونهما فيجد الرغبة في الاستماع)** فعندما قرأتُ في علم الأحيـاء والمخلوقـات علمت أن الله جعل حياة مخلوقاته مكتملة، كأنها عوالم خاصـة بهـا، وأيضـا تعتمـد على بعضها البعض، وكل المخلوقات تتكامل فيما بينها.

زهرة: هذا أمر معروف، ودليل على قدرة الله العظيم، ماذا يقلقك يا أخي؟

هيثم (محاولا إيضاح فكرته): عنـدما يتـدخل الإنسـان يحـدث نـوع مـن الاضـطراب.. الفساد، ويمكن أن يضر هذا الإنسان فيما بعد.

الحكيم: صحيح يا هيثم.

زهرة: وما سؤالك إذن يا هيثم؟

هيثم (ناظرا إليها): سؤالي ببساطة، كيف يمكن أن يضر الإنسان المخلوقات في بيئته إذا تدخل في حياتها؟

الحكيم: يضرها يا هيثم لو تدخل بالخطأ، ولم يفهم تركيبة الحياة فيها.

هيثم: كيف يكون ذلك؟

زهرة: كل ما قرأته في هذا الموضوع أن المخلوقات حول الإنسان تحتاج لمن يفهم حياتها، ليستطيع أن يعيش معها.

الحكيم: انظر إلى الفلاح البسيط، إنه يحيا مع الدجاج والأوز والأرانب، وأيضا مع البقر والغنم والجاموس، يرعاها، وهي تمده بالخير.

زهرة: ومعه أيضا كلاب للحراسة.

الحكيم:... وعندما لا يرعى الإنسان هذه المخلوقات التي تمده بالخير من لحوم وألبان وأصواف، فإنها تتمرد عليه، وقد تكون عدوة له.

هيثم: كيف لا يرعاها؟

الحكيم: أن يسيء معاملتها، ولا يطعمها، ولا يفهم نظام حياتها.

هيثم: وكيف تكون عدوة له؟

الحكيم (ضاحكا): بدلا من هذا الحوار، تعالا نرى ما حدث لجزيرة الفئران.

هيثم وزهرة: جزيرة الفئران؟!

الحكيم: نعم. إنها جزيرة تقع وسط نهر النيل، وتمتلكها الحكومة المصرية.

زهرة: ولماذا سموها جزيرة الفئران؟

الحكيم: تعالا نرى ما حدث.

(يضاء الجزء الآخر من المسرح، حيث نشاهد – في الخلفية - صورا لمدينة القاهرة في عصرنا الحاضر، ثم نهر النيل بمراكبه الشراعية، ونرى غرفة بسيطة الأثاث: فراش، ومكتب، ومقاعد، وبعض الكتب والصحف والمجلات المتناثرة.، ونشاهد شابين في مقتبل العمر: عادل وسامي، عادل منهمك في قراءة صحيفة يومية)

سامي: خيرا يا عادل، ماذا يشغلك؟

عادل (رافعا بصره عن الجريدة): خبر مدهش، ضربة العمر، ألم تقرأه؟

سامي (متفاجئا): لقد قرأت الجريدة اليوم، لا شيء فيها.

عادل (باستهزاء): وهذه مشكلتك يا عزيزي، ولن تصل للمجد الذي تحلم به.

سامي: أي مجد؟ وماذا قرأت؟

عادل: فرصة العمر يا عزيزي، اسمع: تعلن وزارة الزراعة عن طرح جزيرة " الزهراء " وسط نهر النيل لمن يرغب في تملّكها.

سامي: نعم! تمتلُكها! أهذه الجزيرة للشراء؟

عادل: نعم، لمن يشتريها.

سامي (بسخرية): وأنت هل ستشتري الجزيرة؟ إنها تحتاج ملايين وملايين.

عادل: دعني أكمل الإعلان وستعرف أنها فرصة العمر **(يقرأ بصوت عال)** ويشترط لمن يرغب في تملّكها أن يقضي على الفئران التي ملأت الجزيرة، وأتلفت مزارعها، وطردت العمال منها.

سامي (معارضا): والحكومة..، والوزارة..، فشلت في القضاء على الفئران، ومعها كل الأجهزة، والخبراء، هل يعقل هذا؟

عادل: ولم لا؟! وإلا لما عرضتها الوزارة للتملك.

سامي: وأنت تفكر في حل مشكلة الفئران بالطبع؟

عادل: نعم، وهذا ما أعصر رأسي من أجله الآن.

سامي: وترى أن هذا ضربة العمر لك؟

عادل: نعم، ولا تنس أنني خريج كلية الزراعة، يعني أعرف الخير الذي يكون في جزيرة وسط النيل ؛ أرض عالية الخصوبة، وماء عذب وفير، تأخذه دون تعب، وتخيل أنك تمتلك كل هذا مقابل فكرة.

سامي: فكرة؟!

عادل: نعم، حل مشكلة الفئران في الجزيرة.

سامي (ممسكا الجريدة، متأملا الإعلان): يبدو أنها مشكلة كبيرة، هذا ليس مجرد إعلان، إنه أشبه بالمقال.

عادل: لقد قرأتُه جيدا.

سامي: وهل قرأت أن الوزارة تجعل ملكية الجزيرة وقتية، يعني حق انتفاع بها.

عادل (يأخذ الجريدة): آه، وهذا غير مهم، يكفي أن تتنعم بخيرها سنين طويلة

سامي: أردت فقط أن أعلمك بذلك ؛ خاصة أن الإعلان يشترط الحفاظ على الجزيرة وعدم إفسادها، والقضاء على الفئران، وعلى أي حيوانات وحشرات تهدد الجزيرة وما فيها **(يقرأ بصوت عال)** ".. علمًا أنه تم تجريب مختلف المبيدات الحشرية المضادة للفئران وكاد أن يهدد ذلك بيئة الجزيرة، ولذا يشترط أن تكون الفكرة غير مخربة للبيئة، مما يضمن عودة الجزيرة كما كانت مصدرا للخير والخضرة والنقاء "

سامي (مواصلا): هم يريدون فكرة غير تقليدية يا عادل، بعيدا عن المبيدات والسموم وخلافه.

عادل: وهذا ما أفكر فيه، كيف يمكن القضاء على الفئران، فإذا نجحت في ذلك فهذا معناه أنني صرت مالكا للجزيرة.

سامي: عليك أن تفكر جيدا، واعلم أنك ستكون مالكا وقتيا.

عادل: لا يهم..، أنت لا تعلم الفوائد والعوائد والمميزات الضخمة التي ستعود من جزيرة في وسط النيل..، اتركني أفكر.

سامي: سأقوم بعمل الشاي، وفكّر أنت كما تشاء.

(ينشغل سامي بالشاي من خلال غلّاية كهربية، فيما يعصر عادل رأسه، وهو يقفز من الفراش إلى الأرض، ثم يجلس على المقعد، ثم يفتح بعض الكتب لديه، وسامي ينظر إليه ضاحكا)

سامي: إنها مشكلة عويصة، يا خريج كلية الزراعة.

عادل: ولكنها فرصة العمر يا خريج كلية الحقوق **(مقلبا في كتاب باللغة الإنجليزية)** وأدعو الله أن يلهمني الفكرة.

سامي: هذا أمر يحتاج إلى شركات، خاصة أن مساحة الجزيرة كبيرة، وتكاد تخلو من السكان، لأنها في الأساس ملك للحكومة المصرية، وكانت تستغلها في مشروعات عامة.

عادل (مواصلا القراءة): وهذا ما يجنّني أكثر، تخيل معي يا صديقي العزيز أنك تمتلك أرضا واسعة مثل هذه، لا ينازعك فيها أحد.

سامي (منتهيا من الشاي بصب الماء الحار في كوبين): وهل ستترك عملك الحالي في شركة استصلاح الأراضي؟

عادل (وهو يرتشف الشاي): طبعا، وسأتفرغ لهذا المشروع.. **(قافزا في الهواء)** وجدتها، وجدتها..

سامي: ماذا جدت؟

عادل: الحل الخطير لمشكلة الفئران.

سامي: في الكتاب الذي بيدك؟

عادل: لا، في عقلي الذهبي، الحل في القطط، نعم في القطط.

سامي: القطط!

عادل: أليست القطة عدوة الفأر؟

سامي: نعم.

عادل: إذن، نحارب الفئران بأعدائها القطط. وتكون المعركة حامية، والنصر حليف للقطط بلا شك، لأنها الأقوى.

سامي (متعجبا): فكرة طيبة، ولكن كيف ستأتي بالقطط الكثيرة؟

عادل: اترك هذا الموضوع لي، غدا سأذهب إلى مقر الوزارة، وأقدم طلبا لشراء الجزيرة.

سامي: ثم ماذا؟

عادل: ثم ننام الآن.

(إظلام)

(يضاء المسرح، نفس الديكور السابق)

سامي (يناول عادل خطابا مغلقا): لقد جاءك خطاب اليوم من وزارة الزراعة.

عادل: خيرا **(يفض الخطاب ويقرأ)** احضر حالا لمناقشة طلبك بشأن حل مشكلة جزيرة " الزهراء "، حيث سيكون فض المظاريف وفحص الطلبات المقدمة.

سامي: إذن، توكل على الله، واذهب غدا.

(إظلام)

(يضاء الركن الأيمن من المسرح، ونشاهد الحكيم والصغيرين)

هيثم (متعجبا): ما السبب في انتشار الفئران في الجزيرة؟

زهرة: لقد تغير اسمها من جزيرة الزهراء إلى جزيرة الفئران.

الحكيم: الناس هو الذين أطلقوا عليها جزيرة الفئران، أما سبب انتشار الفئران بها فهو بسيط، بسبب الإهمال وعدم النظافة.

زهرة: فقط!

الحكيم: نعم، فإن الجزيرة كما علمتم، تمتلكها الحكومة المصرية، وفيها مزارع كثيرة، تتبع وزارة الزراعة، وفيها مركز أبحاث.

زهرة: أين الإهمال؟

الحكيم: الفئران بكل أنواعها تعيش بجانب البشر، فأي نشاط بشري تجد الفئران قريبة منه، وهذا ما حدث في جزيرة الزهراء، لقد أهمل الموظفون العاملون في المزارع هذه الفئران، فانتشرت، وعاشت على خير الجزيرة، والمزارع التي فيها، وهي كثيرة.

هيثم: وما أعرفه عن الفئران أنها حيوانات نباتية، أي تعيش على النباتات.

زهرة: ولكنها – كما أرى – تأكل كل شيء.

الحكيم: نعم، تأكل كل شيء ؛ أخشابا، لحوما، أقمشة، نباتات.

هيثم: إنها مدمرة.

الحكيم: وتتكاثر بسرعة كبيرة، يكفي أنها تستطيع الإنجاب بعد خمسين يوما من ولادتها، أي يمكنها أن تتناسل في السنة عشر مرات، وهذا يعني تضاعف العدد بشكل رهيب.

زهرة: وهل تكفي فكرة عادل في مكافحة الفئران؟

الحكيم: تعالا نرى لقاءه مع مسؤولي الوزارة.

(إظلام)

(ينفتح الركن الأيسر من المسرح، ونشاهد غرفة مكتبية، حيث يجلس مسؤول الوزارة على المكتب، وأمامه ثلاثة شبان، أحدهم عادل)

المسؤول: أهلا بكم في هذا الاجتماع، وحقيقة أنا سعيد بكم، لأنني وجدت عزيمة لديكم كبيرة.

أصوات الشباب: شكرا، وأهلا بك.

المسؤول (مبتسما): لقد فحصنا طلباتكم جيدا، ولا أخفي عليكم أنه لا يوجد غيركم من تقدّم لحل هذه المشكلة.

شاب ١ (معتز): فقط نحن؟

المسؤول: نعم، ويبدو أن الأفكار صارت قليلة، أو أن الجزيرة بات ميئوسا منها ومن علاج الفئران بها. عموما لقد جمعتكم لأناقشكم في مقترحاتكم، فهي جلسة مناقشة قبل إصدار التكليف النهائي.

شاب ٢ (أيمن): لقد ذهبت للجزيرة، وعلمت من الحراس هناك أن البعض حاول العلاج ولكنه فشل.

المسؤول: هذا صحيح، لقد عرضنا المشكلة على كثير من الخبراء والمختصين، وحاولوا فيها، ولكنهم فشلوا.

عادل: لماذا؟

المسؤول: لأن المشكلة كبيرة جدا، وهم استخدموا مبيدات وسموم، ولـم تنفـع كثـيرا، لأن الفئران متشبعة من المبيدات، وتتناسل أجيال منها تقاوم السموم.

أيمن: وماذا عن مشاريعنا؟

المسؤول (مطالعا الأوراق): لقد قـرأت مشـاريعكم، وأشـكركم على أفكاركـم، ودعـوني أستعرض هذه الأفكار. فكرة الأسـتاذ معـتز تعتمـد على نصـب شـباك كثـيرة للفـئران في الجزيرة، ونصب مصايد لها، وهي فكرة تم تجريبها من قبل.

معتز: وما نتيجة التجربة؟

المسؤول (باسما): للأسف لم تنجح، لأن الفئران شرسة، وأكلـت الشـباك، حـتى خشـب الشباك أكلته، كما أنها تحتاج إلى شـباك كثـيرة، قـد تصـل إلى الآلاف لصـيد أكـثر مـن مليوني فأر، وهي مكلفة جدا، ونجاحها محدود جدا حسب تجربتنا الماضية.

أيمن: وماذا عن باقي الأفكار؟

المسؤول: فكرتك يا أستاذ أيمن بسيطة، وغير مكلفة.

عادل (بقلق): ماذا فيها؟

المسؤول (ينظر في ورقة أمامه): إنها تعتمد على إغراق الجزيرة بماء النهـر، بشـكل كامـل، وإذابة نوعية قاتلة من السموم في المياه، حيث تتسرب المياه إلى الجحور، وتهلك الفئران.

معتز: أراها فكرة جيدة.

المسؤول: هل تعلم عواقبها؟

معتز: لا، ولكنني سأعتمد على سم شديد الفاعلية.

المسـؤول: إن عواقبها هو تسميم تربة الجزيرة، وهي تربة شديدة الخصوبة، خاصة أن الميـاه – حسب مقترحك – ستظل فترة طويلة، للتأكد من موت الفئران، وهذا سـيجعلنا نخسر التربة، بعدما خسرنا الزرع والأشجار.

معتز (مقاطعا بضيق): ولكنني أرى..

المسؤول (مواصلا):.. علما أن الفئران لها مخابئ في الجدران وبقايا الأشجار وغير ذلك.

معتز: لنجرب، وأنا واثق من النجاح.

المسؤول: حتى لو نجحت الفكرة - وأنا أشك في ذلك - فإن الوصول إلى جثث الفئران في مخابئها صعب، وسيؤدي ذلك إلى تعفن الجثث وتحلّلها في الجحور العميقة، وهذا سيفسد البيئة أكثر، وسيؤدي لروائح كريهة جدا، علاوة على تسميم التربة.

معتز: وما المقترح الثالث؟

المسؤول (ناظرا إلى الورق): إنه مقترح الأستاذ عادل، وهو ببساطة مقترح عملي، إنه يعتمد – حسب ما ذكره - على إحداث عملية توازن بيئي بين المخلوقات، بإحضار أعداد كبيرة من القطط في الجزيرة.

أيمن، معتز: قطط!؟

المسؤول: نعم، إحضار القطط، وهي قادرة على مواجهة الفئران بحكم العداوة المعروفة بين القطة والفأر.

أيمن: وتتحول الجزيرة لساحة معركة.

المسؤول: إن مزايا هذا المقترح البسيط أنه يعيد التوازن إلى بيئة الجزيرة، وهو خطأ لم ننتبه إليه من قبل، وأيضا فإن هجوم القطط على الفئران لن يبقي لنا جثثا تتعفن وتفسد، وسيضمن لنا بيئة نظيفة. فكرة طيبة يا أستاذ عادل.

عادل (ضاحكا): أشكرك سيدي الكريم.

المسؤول: ولكن انتبه، فأنت تحتاج إلى أعداد كبيرة من القطط.

عادل: لقد درست الموضوع، وسأقوم بإحضار القطط الضالة من الشوارع كي نريح الناس منها، ونستفيد منها في عملنا، وطبعا أحتاج إلى وقت طويل حتى نضمن ظهور نتائج حاسمة.

المسؤول: إذن، ليس أمامنا إلا التجربة، وسيصدر خلال أيام قرار بتكليفك، وعليك أنت الباقي إن شاء الله، مبارك عليك يا أستاذ عادل، ونحن سنتابع الموقف في الجزيرة أولا بأول، للتأكد من التزامك بالعقد.

معتز وأيمن: مبارك عليك يا أستاذ عادل.

عادل (فرحا): بارك الله فيكم.

(إظلام)

(يضاء المشهد على غرفة عادل وسامي، ونرى عادلا منكبا على أوراق أمامه)

سامي: ماذا فعلت مع القطط؟ من سيجمعها لك من الشوارع؟

عادل: لا تحمل هما، لقد اتفقت مع مجموعة من جامعي القمامة، ومجموعة من العمال الذين سيساعدوننا في العمل.

سامي: ومن أين ستحصل على المال؟

عادل: عندي أموال مدخرة، سأنجز بها بداية المشروع، وهناك وعود من أصدقاء لي بأن يساعدوني بأموال في حالة تطهير الجزيرة من الفئران.

سامي (معجبا): ماشاء الله عليك، تفكّر في كل شيء.

عادل: أهم شيء أنك ستكون معي، مستشاري القانوني، ومدير أعمالي الإدارية والمالية في المشروع الجديد.

سامي: إن شاء الله يا صديقي.

(إظلام)

(يضاء المشهد على جزيرة في وسط النيل، حيث نرى أشجارا ومزارع، ونسمع مواء القطط بشكل كثيف، ونشاهد لقطات متلفزة لمطاردات القطط للفئران ثم يتحول الضوء إلى غرفة مكتب في أحد مباني الجزيرة، حيث نرى عادل وسامي وهما جالسان، عادل خلف المكتب، وسامي أمامه على مقعد)

عادل: ما رأيك فيما أنجزناه حتى الآن يا سامي؟

سامي (منبهرا): شيء غير مصدق، لقد نجحت فكرتك يا عادل، وتقريبا تم تطهير الجزيرة من الفئران، وما تبقى دخل في حفر عميقة.

عادل: لقد كانت فترة الشهور الستة كافية للقضاء على الفئران، لابد أن نقيم وليمة للقطط على ما قامت به.

سامي: وهل هناك وليمة ألذ من الفئران التي التهمتها!

عادل: وما أخبار مشاريعنا يا سامي؟

سامي: كل خير، أصحاب رؤوس الأموال يأتون كل يوم للجزيرة، وهم غير مصدقين ما وصلت إليه. ويعرضون علينا مشروعات.

عادل: أعلم هذا، ما أخبار مشروعاتنا نحن؟

سامي: أولا: بدأ الفلاحون في زراعة الأرض بالمحاصيل، وبدأ العمال في بناء ثلاث مزارع للدواجن، وتم إحضار حوالي ٢٠٠ رأس غنم، و١٠٠ من البقر للرعي في الجزيرة.

عادل: عظيم، أظن أن أصدقائي الممولين ملتزمون بتقديم المال بشكل دائم.

سامي: اطمئن يا عزيزي، المال كثير، ولدينا حساب في البنك يغطي مشاريعنا.

عادل: خلال ستة أشهر من الآن، إن شاء الله، سنرى ثمار المشاريع: دواجن ومنتجات ألبان، ومحاصيل.

سامي: وقبل ذلك إن شاء الله، سترى الخيرات كلها، إنها جزيرة الخير، ولكن ماذا سنفعل بالقطط إذا أنهت وجود الفئران؟

عادل (وهو يهز منكبيه): ماذا سنفعل؟! لاشيء طبعا.

سامي: يعني يا عادل لو انتهت الفئران من الجزيرة ماذا ستأكل القطط؟

عادل: تترصد أي فأر يظهر، وهل ستنتهي الفئران من حياتنا! إنها ملازمة لأي نشاط بشري دائما.

سامي: أرى أن نتخلص من القطط بعد فترة حتى لا تزعجنا.

عادل: لا يمكن، هذه القطط مصدر الخير لنا، ولا ننكر دورها. اتركها، تأكل تمرح، وتمنع ظهور الفئران مرة أخرى (يستدرك) كما أن التخلص منها يحتاج تكاليف كثيرة، وهي أكبر من الفئران حجما.

(إظلام)

(نفس المشهد السابق، وقد أصبحت الغرفة أكثر فخامة، ونرى عادل مرتديا بذلة فخمة، وكذلك سامي)

سامي: زارنا اليوم مندوب وزارة الزراعة، لمتابعة أخبار الجزيرة.

عادل: هل من جديد يا سامي؟

سامي: أبدا، شكرنا الموظف على جهودنا، وطفت معه في أرجاء الجزيرة، وكان سعيدا بالمشروعات المقامة فقد تغيرت الجزيرة خلال عامين تماما، خاصة مشروعات منتجات الألبان، ومزارع الدواجن.

عادل: رائع.

سامي: ولكن القطط أزعجته وهو يطوف معي، طلب مني أن نتخلص منها.

عادل: ما معنى أزعجته؟ ألا يسير في الشوارع ويشاهد القطط والكلاب؟!

سامي: هذه الملاحظة التي ذكرها فقط.

عادل: هو لا يجد ما يقوله (مغيرا الحديث) إنني أفكر في إنشاء مرفأ للصيادين على شاطئ الجزيرة.

سامي: معقول! نحن مهتمون بالنشاط الزراعي ونشاط الرعي فقط.

عادل: وماذا يمنع؟ نهر النيل مملوء بالسمك، والصيادون يحتاجون إلى مرفأ لهم لنصب شباكهم، ويمكن أن ننشئ المرفأ ونؤجره للصيادين، ثم نمتلك مراكب صيد تخصنا، وتكون تجارة كبيرة للسمك هنا.

سامي: دائما تأتي بأفكار جديدة وكثيرة يا عادل.

(إظلام)

(نفس المشهد السابق يدخل سامي ومعه رئيس العمال محمود)

سامي: عادل.. عادل، هناك مشكلة كبيرة.

عادل: خيرا، ماذا حدث؟

سامي: اسمع لعم محمود رئيس العمال.

عم محمود: القطط رهيبة يا أستاذ عادل، لابد من حل لها، صارت متوحشة شرسة، لا تترك دجاجة ولا علة ولا ثمرة إلا وأكلتها..، حتى الأغنام تنهشها والأبقار تفر منها، إنها عنيفة جدا.

عادل (بقلق): وما الحل؟

محمود: نقتلها كلها.

عادل: هاتوا مبيدات وسموم وضعوها في مخابئ القطط وفي كل مكان.

سامي: أخاف أن تفسد المزروعات.

عادل (بعصبية): نضعها بحرص.

محمود: إن أعدادها كبيرة جدا، ويجب قتلها.

عادل: نبدأ بالسموم ونرى.

(إظلام)

(نفس المشهد السابق ويدخل رئيس العمال محمود)

عادل: ماذا حدث يا عم محمود.

محمود: أستاذ عادل، القطط تهاجم العمال وتجرحهم، وكل العائلات التي كانت تقيم في الجزيرة هاجرت منها، الوضع لا يطاق لهم.

عادل: لماذا؟

محمود: القطط غاية في العنف، إنها أشبه بالنمور، وصارت تأكل كل شيء، حتى النباتات، واليوم أقفل مصنع الألبان، ومزارع الدجاج أغلقت كما تعلم من أسبوعين، ومرفأ الصيد مهجور، فالمراكب تخاف من الرسو هنا.

عادل (صارخا): لقد وضعنا كمية ضخمة من السموم.

محمود: لا فائدة، القطط تعرف أماكنها، وتتفادها، وعاشت في بيوت جديدة.

عادل: بهذا الشكل كل شيء انتهى.

محمود: لا حل إلا بإفراغ الجزيرة من المشاريع، ومحاربة القطط وصيدها وقتلها. صار الناس يسمون الجزيرة جزيرة القطط.

عادل: من جزيرة الفئران إلى جزيرة القطط، يا قلبي لا تحزن **(في نفسه)** معقول، هذا نهاية الأمر!

(يدخل سامي منفعلا)

سامي: عادل، الحقنا يا عادل.

عادل: ماذا وراءك أنت الآخر؟

سامي: مصيبة.

عادل (مستسلما): أنا راض بأي شيء.

سامي: حضر مندوب الوزارة، ولما رأى إغلاق المشروعات، والقطط المتقافزة في كل مكان، قال: إن هذا يخالف اتفاقنا مع الوزارة في الحفاظ على بيئة الجزيرة.

سامي (يسكت ملتقطا أنفاسه ويكمل): وهناك شكاوى - وصلت لهم - من الصيادين والمزارعين وأصحاب مزارع الدواجن من القطط المتوحشة.

عادل (ضاربا يده برأسه): وماذا قرر مندوب الوزارة؟

سامي: قرر إبلاغ رؤسائه بفسخ عقد الانتفاع أو الملكية المؤقتة بينك وبين الوزارة، وأن تعود الجزيرة لملكية الوزارة.

عادل (كأنه يحدث نفسه): الأمر لله، يكفي ما أخذناه من مال.

سامي: ماذا تقول يا عادل؟

عادل (بصوت عال): وأنا موافق على تسليم الجزيرة للوزارة، فلم ينفع مع القطط سموم ولا مبيدات ولا مصايد ولا شباك...

سامي: هكذا ببساطة؟

عادل: لقد ادخرت بعض الأموال في السنين الماضية، وبدلا أن أهدرها على الجزيرة والقطط، سأفكر في الاستفادة منها.

سامي: أمرنا لله.

(إظلام)

(غرفة عادل وسامي الأولى بسيطة الأساس، ونرى بعض الصحف والكتب)

سامي (ممسكا بجريدة): عادل، عادل، اسمع.

عادل: ماذا؟

سامي: دعوة للشباب والمستثمرين.

عادل (دون اهتمام): وماذا فيها؟

سامي: تعلن وزارة الزراعة عن عقد تمليك لجزيرة الزهراء وسط النيل لمن يستطيع أن يقضي على القطط الكثيرة التي ملأت الجزيرة، وقضت على الأخضر واليابس فيها.

عادل (ضاحكا): ليس هذا الإعلان لنا.

سامي: ولماذا لا تحاول فيه ثانية؟

عادل: سأحاول، ولكن في مشروع آخر.

سامي: أي مشروع؟ لقد كانت تجربتنا قاسية وفاشلة في جزيرة الفئران.

عادل: جزيرة الفئران سابقا، والقطط حاليا. **(مواصلا)** عموما لقد استفدت كثيرا من هذه التجربة، وتعلمت الكثير من الدروس في فن إدارة المشروعات.

سامي: وأنا كذلك استفدت.

عادل: هيا نفكر بشكل جديد.

(إظلام)

(الحكيم والصغيران يتحاورون)

زهرة: أنا غير مصدقة لما حدث.

هيثم: ولا أنا.

الحكيم: بل صدّقا، فمن لا يفهم تركيبة الطبيعة وتوازن الكائنات فيها، لا يستطيع أن يعيش بنجاح فيها.

هيثم: هذه حقيقة.

زهرة: ورغم أن عادل فهم هذا الأمر في بداية العمل، ولكنه أهمله في نهايته.

الحكيم: كان يمكنه ألا يسرف في استخدام القطط، وأن يتخلص منها بشكل أو بآخر قبل أن تتكاثر وتتوحش ويستفحل خطرها.

هيثم: شكرا لك يا أستاذنا الكريم.

(إظلام)

❊ ❊ ❊

المسرحية الرابعة

سفينة العطش

(المسرحية الرابعة) سفينة العطش

(في الركن الأيمن بالمسرح، ضوء ساطع على الحكيم والفتى " هيثم " وأخته "زهـرة " وهـم في غرفة الحكيم ذات الأثاث البسيط: طاولة ومقاعد وكتب على الأرفف، وهم مشـغولون في الحوار)

زهرة: سيدي الحكيم،عندي سؤال.

الحكيم: خيرا يا زهرة؟

زهرة: إلى متى نتمسك بالأمل في حياتنا؟

الحكيم (بهدوء): بالطبع إلى آخر العمر.

زهرة: تقول إلى آخر العمر! وماذا لو كانت الظروف تشتد سوءا يوما بعد يوم؟

الحكيم (مبتسما): يا زهرة، الإحساس بالأمل لا يرتبط بظروف الحياة وإنما يرتبط بالإيمان بالله تعالى.

هيثم: كيف ذلك يا أستاذنا؟

الحكيم (ببساطة): المؤمن لا يعرف القنوط أو اليأس من رحمة الله أبدا، فعليه أن يعمل بجد، ويؤدي ما عليه، ويثق أن الله يريد له الخير.

هيثم: زهرة تتكلم عن الإحساس في الظروف الصعبة.

الحكيم: وأنا أقصد بالفعل الظروف الصعبة.

زهرة: وكذلك الحال لو كنت أحلم أن أكون طبيبة؟

الحكيم: نعم.

زهرة: ولو فشلت في تحقيق الأمل، ولم أستطع أن أكون طبيبة!

الحكيم: المهم أن تسألي نفسك: هل أديت ما عليك؟

زهرة: ولو كنت أديت ما علي، ولم أصل لما أريد.

الحكيم: إذن، يكون الله العظيم أعد لك الخير في مجال آخر، وأنت لا تعلمين.

هيثم: أستاذي العزيز، نعود إلى التمسك بالأمل في الظروف الصعبة، كيف يكون ذلك؟

الحكيم: نفس الإجابة السابقة يا هيثم، نفعل ما يجب علينا، ونثق أن الله معنا ما دمنا نؤدي طاعته، وكنا مخلصين في عبادته.

زهرة: وهل حدث هذا في الحياة؟

الحكيم: نعم، حدث، وتعالا نرى النوخذة (القبطان) صالح، ورفاقه في سفينتهم التي أبحرت بحثا عن الرزق في الأرض.

(يضاء الجزء الآخر من المسرح، حيث نشاهد – في الخلفية - ينقلنا إلى أجواء السفن الخليجية القديم، فنشاهد مجسما لسطح سفينة، حيث تبدو بعض الأشرعة مطويةً، والبعض منها منشورًا، على عدة سوارٍ تنتصب في منتصف السفينة، وبالقرب منه سلم ينحدر لأسفل السفينة، كما يبدو عند حواف المسرح مجسمات لسور السفينة الخشبي، وهناك عند أحد الأركان تتكوم بعض الشباك، والصناديق الخشبية.ونشاهد مجموعة من البحارة يقفون بالقرب من الأشرعة، بينما تشاغل البعض الآخر، في أحد الأركان، بتنظيف كمية من الأسماك. يظهر النوخذة صالح، حيث يقف عند مقدمة السفينة ينظر إلى الأفق الممتد. تُسمَع أصوات الأمواج الهادئة)

منصور (مستلقيًا على ظهره): عندما سنصل إلى بلدنا، فإنني سوف أتمم زواجي.

سالم (يقف بالقرب منه): هكذا، بهذه السرعة؟!

منصور: نعم.. نعم. إن نصيبي في هذه الرحلة سيكون مبلغًا جيدًا، وسيسهّل لي مهر العروس، ومستلزمات العرس.

سالم: أمّا أنا، فلا أحلم إلا بلحظة توقف السفينة، عند الشاطيء، سأجد زوجتي وأبنائي الثلاثة: عبد الله ومحمد وهند، وهم يلوّحون لي، فرحين بقدومي.

يتدخل إسماعيل الطباخ، قائلاً :

-لماذا لا تساعدوننا في تجهيز الغذاء؟

منصور: هل أوشك على الانتهاء؟

إسماعيل: أقول ساعدونا، وأنت تسأل عن انتهائه، هل هذا معقول؟

سالم (مبتسمًا): نعم، معقول، وأنا أوافقه. لأن دورنا هو الأكل، وتذوق الطعام الذي تعّده.

إسماعيل: وأنا دوري - بالطبع - الطبخ فقط. أليس كذلك؟

منصور (ضاحكًا): سنعطيك بعض المتبقي منّا، إن تبقّى شيء.

إسماعيل (يقذفهما بسمكة صغيرة): إذن،ستكون هذه طعامكما اليوم ؛ تأديبًا لكما.

(يتلقفان السمكة) قائلين: بالفعل أنتَ كريم.

النوخذة صالح (متدخلاً): كفاكم لهوًا. إسماعيل، ما أخبار الماء لديك؟

إسماعيل: توجد كمية لا بأس بها في صهريج السفينة، وستكفينا حتى نعود إن شاء الله.

صالح: أريد أن تقتصد وتوفّر في الماء بقدر المستطاع.

سالم: ولماذا يا نوخذة؟

صالح: الاحتياط واجب، ولا ندري كيف ستكون الأيام القادمة.

منصور: هل أنت خائف بسبب خمود الريح وتوقفها منذ أيام؟

سالم: إن أحوال البحر متقلبة، مرات الريح قوية، ومرات خفيفة. .

صالح (بحذر): ومرات ثابتة، خامدة، ونحن في منطقة بالمحيط الهندي مشهورة بذلك.

سالم: لا تقلق يا عمنا..، صحيح أن سفينتنا ثابتة في البحر منذ أربعة أيام، ولكن. .

صالح (ناظرًا إلى أعلى: (إن هيئة السماء، وحركة الهواء، تشعرني أن الريح قد يطول خمودها بعض الوقت.

منصور: لا.. لا..، فأنا متلهف على العودة.

صالح: إسماعيل..، هل أنهيتم الغذاء؟

إسماعيل: سنبدأ في الطهي للسمك الآن.. سمك ومرق وأرز.

صالح: وكمية السمك المتبقية، هل ستكفي للعشاء؟

إسماعيل: نعم..، وقد نحتاج إلى القليل.

صالح: إذن..، منصور وعثمان وعليّ، يستعدون لإنزال قارب بعد الغذاء، لصيد كمية من السمك.

منصور: موافق.. **(ناظرًا لإسماعيل مبتسمًا)** هل عرفت الآن السبب في عدم مشاركتي لك في تجهيز الغذاء؟ فأنا أقوم بالدور الأساسي في الطعام، وهو صيد السمك.

إسماعيل: بل الدور الأساسي أقوم به أنا..، فأنا الطباخ. .

منصور: بل أنا. .

صالح: بل كلنا..، كل واحد يؤدي دورًا هامًا.

(يظلم المشهد، ثم ينفتح على الحكيم ومعه الطفلان: هيثم وزهرة)

الحكيم: بم تصفان من على ظهر السفينة؟

هيثم: إنهم متحابون.

زهرة: متحابون وأيضا متعاونون، وقبطانهم حكيم.

الحكيم: أحسنتما، وهكذا لا ينجح العمل إلا بالحب والتعاون وأيضا بحكمة القائد.

(إظلام)

(ينفتح الركن الأيسر من المسرح يدخل منصور، وينظر للبحارة الجالسين بكسل أو الواقفين مستندين على سواري الأشرعة وعلى سور السفينة)

منصور: هل هذا معقول، عشرة أيام والسفينة ثابتة لا تتحرك؟

عثمان (يرد من جلسته عند السور): وماذا سنفعل؟

منصور: أي شيء..، لقد ضِقتُ وزَهقْتُ من هذه الوقفة، وهذا التأخير في وقت العودة، إلى بلدنا.

عثمان: استعنْ بالله..، حياة البحر متقلبة.

منصور: ولماذا لا نستخدم المجاديف؟

يظهر النوخذة صالح وهو يقول:

- لن تفلح المجاديف في عمل شيء، فدورها فقط في تحريك السفينة من الميناء إلى خارجه أو في إدخال السفينة إلى الميناء، وتحريكها في جميع الأحوال يكون خفيفًا.

منصور: إذن، الريح عليها الحمل الأكبر.

صالح: نعم، وهذا من فضل الله علينا ؛ حتى نوفّر تعب وجهود العمال والبحارة **منصور**: ولكن لو حاولنا الحركة بالمجاديف، سنصل بلا شك؟

صالح: غير صحيح، وهذه سفينة شراعية، تعتمد في حركتها، وفي بنائها على الريح. كذلك البحّارة الذين معنا عددهم قليل، وسيتعبون بسرعة، وهم يقومون بالصيد وتجهيز الطعام وغير ذلك.

منصور (مستسلمًا): إذن علينا أن ننتظر هذه تحرّك الريح الملعونة؟

عثمان (باندهاش): الريح ملعونة! استغفرِ الله.

صالح: نعم.. استغفر الله يا منصور، فالريح مخلوق خاضع لمشيئة الله تعالى..، فكيف تلعنها، وهي تتحرك بأمر الله؟

منصور (يحرّك كفيه بعصبية): أستغفر الله ؛ إن الريح مسئولة عما نحن فيه.

صالح: هذا كله بقضاء الله، وهو - سبحانه - يختبر إيماننا وتحملنا، وهكذا الحياة، ليست كلها حلوة، بل يوم حلو ويوم.....

عثمان: والأيام المرّة إن شاء الله لن تطول.

(يدخل إسماعيل، ويبدو عليه الانزعاج)

إسماعيل: يا عم صالح، الماء لن يكفينا سوى ثلاثة أيام فقط.

صالح: ثلاثة أيام! كيف؟!

إسماعيل: لقد فتحت الصهريج الآن، ولم أجد سوى كمية قليلة، حسبتها، فوجدتُ أنها لن تكفينا إلا هذه الفترة.

صالح: أنتم تسرفون إذن.

إسماعيل: أبدًا ... أبدًا..، إنها للشرب والطهي فقط، وغسل الآنية والأطباق.

صالح: لا.. لا..، نريد أن تكفينا مدة أطول. .

عثمان: وكيف سيكون ذلك؟

صالح: لا داعي لغسل الآنية والأطباق بالماء العذب، بل بماء البحر فقط.

إسماعيل: سيترسب الملح فيها.

عثمان: إذن، لا تضع ملحًا في الطعام نفسه، وسيختلط بالملح المترسب في الحلل.

صالح: وكذلك، لا تطبخ بالماء.

(ينهض البحارة المتسندون على سور السفينة في جلستهم، ويهتفون مع منصور وعثمان وإسماعيل في صوت واحد): غير ممكن!

صالح (بحزم): بل ممكن..، فقطرة الماء تساوي حياة إنسان. لا داعي لطبخ الأرز وقلي أو طبخ السمك، بل نكتفي بشي السمك فقط، عند صيده.

منصور: هذا صعب. .

صالح: نحن رجال، وعلينا أن نقتصد.

إسماعيل: بذلك سيكفينا الماء أيامًا تالية، قد تصل لعشرة أيام.

صالح (مبتسمًا): أكرر عليك يا إسماعيل: كوب صغير لكل فرد على ظهر السفينة في اليوم. وإذا شرب، لا يأخذ إلا رشفة أو رشفتين.

منصور (يضرب رأسه): رشفة أو رشفتين!

صالح: صدقوني، الله جعل في الإنسان القدرة على تحمل الكثير من الصعاب، ولكن الإنسان يريد الراحة دائمًا، ولا يعرف قدرات نفسه.

ينطلق صوت مؤذن السفينة، معلنًا عن الصلاة.

الله أكبر.. الله أكبر.. أشهد أن لا إله إلا الله. .وأشهد أن محمدًا رسول الله. .

حي على الصلاة.. حي على الفلاح. .

(يردد البحارة الآذان بتراخٍ ويعودون إلى أماكن جلوسهم)

صالح: هيا للصلاة. .

أحد البحارة: أجسامنا متعبة.. الماء قليل.

صالح: قوموا..، لا حلّ ولا مخرج لنا إلا الصلاة..، ولا عذر للمتكاسل.

(التراخي بادٍ عليهم)

(صالح بعطف، وهو يجذبهم): قوموا يا أولادي..، لقد خَبِرتُ الحياة، وتعرضت لأيام صعبة مثل هذه، ولم يكن لنا ملجأ إلا الله تعالى.

منصور (بخيبة أمل): أشعر أن أنفاسي صارت معدودة في هذه الدنيا.

عثمان (مبتسمًا له): يا عريس..، لا تقلْ هذا، وإلا سأخبر العروس عندما نصل إلى بلدنا بما قلته، فأجعلها تغيّر رأيها فيك. ألا تعرف أن علامة الرجولة هي التحمل.

صالح (متوجهًا نحو سور السفينة، حيث يدلي دلوًا، ليخرج الماء المالح من البحر، يخرج الدلو ممتلئًا، ويقف صالح على حافة السور، ليتوضأ، وهو يذكر أدعية الوضوء)

صالح: بسم الله الرحمن الرحيم..، وأشهد أن لا إله إلا الله. .

هيّا يا شباب..، الجنة والرحمة الآن أبوابهما مفتوحة.. هيّا..

أمام هذا الفعل، يتحرك البحارة، يتنافسون فيمن سيتوضأ أولاً..، يتوضأون من دلو واحد مشتركين في مائه، ويكررون جلب الماء من البحر

(يقيم المؤذن الصلاة، يصطفون خلف النوخذة صالح)

(يظلم المشهد، ثم ينفتح على الحكيم ومعه الطفلان: هيثم وزهرة)

هيثم **(متوترا)**: الموقف يزداد سوءا.

زهرة (بعطف): مساكين هؤلاء البحارة. ماذا سيفعلون عندما تنتهي كمية الماء القليلة التي معهم؟

هيثم: إنهم يتعلقون بالأمل.

الحكيم: بل إنهم يتعلقون بالله.

هيثم وزهرة في صوت واحد: الطف بهم يا رب.

(إظلام ثم يضاء المشهد على السفينة، ويبدو أن هناك أياما مرتْ، ونشاهد بعض البحارة يجلسون يتحاورون، بينما يقف البعض الآخر (

سالم: اليوم يجب أن نحتفل..

منصور: بموتنا..، ستشاهد موتي يا سالم.

عثمان: ماذا تقولان؟ موتنا!

منصور: هل هناك كلمة أخرى غيرها؟

عثمان: نعم.. لو متنا سنكون شهداء.

منصور: لن تفرق كثيرًا.. إن أنفاسنا ستزهق في النهاية.

عثمان: علينا أن نفهم أن حياتنا أوموتنا ليسا هباءً، بل شهادة في سبيل الله. نحن مسلمون، استشهدنا أثناء عملنا وسعينا على أولادنا.

منصور (يردد الشهادة): أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا...

(يفيق النوخذة صالح، ويرفع رأسه)

صالح (ضاحكًا): تتكلمون عن ماذا أيها الشباب؟ بل أيها الشهداء؟

منصور: أنت قلتها. .نحن شهداء.

صالح: تكلّم عن نفسك، أنت ومن معك، أما أنا فلا يزال عقلي يعمل ويفكّر.

سالم: لقد نفذنا خطتك، وامتدت أعمارنا أيامًا أخرى، وبدلاً من عشرة أيام، صارت خمسة عشر يومًا، وصارت قطرات الماء تنزل بحساب على ألسنتنا.

عثمان: ولنا في هذا الموقف، والرياح متوقفة، شهر تقريبًا.

صالح: ولكن لا يزال أمامنا الكثير والكثير، قبل هذا اليأس.

منصور (بابتسامة ساخرة): الماء نفد.. الماء نفد. .

صالح: والعقل لم ينفد. .

سالم: هل تقترح أن نشرب من ماء البحر؟

صالح: لم يحنْ الأوان بعد. ولكنني أقترح أن ..... سكت

الجميع (في صوت واحد): أن ماذا؟

صالح: أنتم تتجهزون للشهادة.. ألم تقولوا هذا الآن؟

الجميع (بنفاد صبر): تقترح ماذا يا عم صالح، قل يا أبا عبد الله، الله يجزيك الخير كله..

صالح: هل فتشتم في السفينة عن شيء يعوّضنا عن الماء.

(ينظرون لبعضهم البعض)

عثمان: لا يوجد في المخزن سوى البضائع التي أحضرناها معنا.. ولا شيء.. على ما أذكر يصلح للشرب.

صالح: بينما أنتم تنامون وتتكاسلون في الليل والنهار، كنتُ أنقّب عن حل للمشكلة. .

(يصمت، ثم يكمل)

-تخيلوا.. يوجد حوالي ثلاثة آلاف ثمرة جوز هند في المخزن، مربوطة في أجولة كبيرة.

منصور: نعم ... نعم ... ولكنها ملك لأحد التجار في بلدنا.

صالح: هو صديقي، وهو لم يدفع ثمنها بعد، ولو علم ظروفنا الصعبة الآن فيسامحنا بلا شك. .وقت الضرورة يباح المحظور.

يقف الجميع فرحين.. وهم يقولون:

-إن عقلك يعمل دائمًا يا عم صالح، هيا.. هيا.. لقد نسينا هذه الثمار.

(ينزل البعض إلى قاع السفينة، ويتبقى البعض)

سالم: ولكن هل ستكفينا هذه الثمار.. إنها صغيرة الحجم، والرجل سيلتهِمُ الكثير منها بسرعة.

صالح: لا سنضع قانونًا..، كل واحد منا له ثمرتان في اليوم فقط، يمتصّهما.

منصور: إنني آكل خمسًا منها في المرة الواحدة.

صالح: هذا في أيام الرخاء.

(يظهر اثنان من البحارة من قاع السفينة، حاملين جوالاً منتفخًا، يضعونه أمام النوخذة

صالح، الذي يفك رباطه، ويوزّع عليهم، كل واحد ثمرتان، ويكون هو الآخذ الأخير

فيهم. يبدأ كل منهم في المصّ من الحبة..)

سالم: لقد أخذت منها رشفتين فقط.. وسأبقي الباقي.

منصور: أمّا أنا.. فقد أنهيت الأولى، وها أنا سأبدأ في الثانية. .

عثمان: لن تأخذ أخرى غيرهما ؛ فاقتصدْ.

(منصور، ينظر بأسف لهما، ويلقي بالثمرة الفارغة في البحر بغيظ)

صالح (ينظر له): ما هذا يا منصور؟ لماذا أنتَ غاضب..؟ اهدأ، نحن إخوان. .المهم، لا يرمِ أحدكم بقايا ثمرته في البحر، بل يضعها في هذا الركن.

(يشير بيده نحو أحد أركان السفينة)

سالم: لماذا؟ يا أبا عبد الله.

صالح (بغموض): لعلها تنفعنا. .

منصور (صائحًا): في ماذا؟

صالح: أذكركم أن الطاعة أساس العمل على ظهر السفينة، وفي حياة البحر.

(يتحرّك البعض الذين فرغوا من امتصاص الثمرة الأولى، ويضعون الثمار الفارغة في الركن الذي حدده صالح)

(الآذان.. يرتفع..، يرددون وراء المؤذن بهمس، مع ارتياح أكثر، بعدما ترطبتْ حلوقهم، ويهرعون للوضوء)

صالح: أيها الإخوة.. الدعاء.. الدعاء..، إنه مفتاح الحل لمحنتنا.

(إظلام)

(يضاء المشهد، ونشاهد أجولة ثمار جوز الهند الفارغة متكومة على الأرض، وبجانبها كومة من ثمار الجوز الفارغة، وقد لاح الجفاف عليها)

أحد البحارة (متمددًا على الأرض): لقد كانت هذه الثمار هي آخر أمل لنا.

بحار آخر: لقد عمِلتُ بوصية النوخذة صالح، وفتشتُ مرات ومرات في مخزن السفينة، ولم أجد أي شيء لا يؤكل ولا يشرب.

سالم (ناظرًا إلى كومة الثمار): بالفعل كانت آخر أمل لنا في هذه الحياة.

(يرفع منصور رأسه من بين النائمين، ويقول:

-لقد عرِفتُ أن الإنسان - بالفعل - يستطيع أن يفعل الكثير، وأن يتحمل الكثير، ولكن أقسى شيء في نفسي، أن أرى زملائي يموتون من حولي.. أقصد يستشهدون.

إسماعيل (الطباخ): لقد حرمتني هذه الثمار من فرصة الطهي لكم، ولولا هذه السمكات التي نشويها كل يوم، لنسيت فن الطبخ.

منصور: ظننتك فرحًا، لأنك مستريح من العمل.

إسماعيل: أنا أحبكم، ولذا أحب أن أطبخ لكم.

سالم: هذا ليس وقت العواطف.. كلنا تجمعنا سفينة واحدة، ومصير واحد، ولكن فكّروا، ماذا عسانا أن نفعل الآن؟

منصور: تصوروا أنني لم أعد خائفًا من الموت.

سالم: إنك كنتَ أكثرنا خوفًا وفزعًا.

منصور: كنتُ ....، نعم، ولكن هذه التجربة العنيفة، جعلتني أقترب كثيرًا من الله، واشتقتُ للقائه.

(يقطع حديثهم النوخذة صالح، الذي يدخل ومعه حلة معدنية متوسطة الحجم)

صالح: السلام عليكم. .

الجميع: وعليكم السلام. .يا عم صالح.. يا أبا عبد الله.

صالح: أنا شديد السعادة الآن. .

سالم: لأننا أنهينا ثمار الجوز الهند؟

صالح: أبدًا ... لأن منصور تغيّر، ومادام منصور قد تغيرت نفسه، وهو كان أكثركم خوفًا من الموت، فالجميع قد تغيروا بالفعل.. ما شعوركم الآن، هل تخافون على شيء في هذه الدنيا؟

إسماعيل: نعم.. على أولادنا..، أما أجسادنا فلا...

صالح: حسنًا.. وهل تخافون من الموت؟

سالم: أبدًا. .لقد كنتُ أصلي، وأشعر أن الملائكة حولي، وكنتُ أدعو، وأشعر أن الله يسمعني. .هذا عن نفسي فقط.

منصور: نفس الشعور عندي..، إنني أشعر أن الله قريبٌ مني جدًا.

البحار الأول: وأنا كذلك.. لقد نسيت أولادي وأهلي، ولم أعد أفكر سوى في الأمل في مغفرة الله لذنوبي. .

البحار الثاني: وأنا كنتُ أتخيل حال الجنة.

صالح: أحسنتم..، وبذلك تنطبق عليكم الآية الكريمة التي تقول:{ إن الله لا يغيّر ما بقوم، حتى يغيّروا ما بأنفسهم }

منصور: ما معنى هذا؟

صالح: معناه أن الله لن يفك كربتنا، إلا إذا اقتربنا منه.. وهاهي النتيجة، الجميع الآن قريبون من الله.

سالم: بعد هذا الحديث الجميل..، ماذا عسانا أن نفعل الآن؟

صالح: علينا أن نفكّر.. ونفكّر. .

البحار الأول: وأنا فكرت ولم أصل لشيء.

صالح: وأنا كنتُ أفكّر منذ اليوم الأول ووصلتُ إلى ...

(توقف، وانتبه الجميع)

منصور: معقول ... هل هناك محاولة أخرى للشرب..؟

صالح: نعم ... وهذه آخر ما عندي.

سالم: ما هي هذه المحاولة يا أبا عبد الله؟

صالح: إنها بسيطة للغاية، سنقوم بعملية تقطير للماء.

الجميع: تقطير للماء؟! كيف؟

صالح: أمامكم ثمار جافة في كومة كبيرة. .

إسماعيل: تقصد أن نحرقها؟

صالح: نعم ...، نشعل فيها، على حلة مملوءة بماء البحر المالح، فإذا غلتْ، فإن البخار سيتصاعد، ونحن سنقوم بتكثيفه، على لوح معدني، ثم نجمعه في كوب، ويكفي الواحد منا رشفة أو رشفات. .

الجميع: فكرة رائعة. .

صالح: هيّا. .الآن، نقوم بتنفيذها. .

(يتحرّك الجميع، حيث يقومون بإشعال النار في كمية من الثمار الجافة، في أحد الأركان وتكون النار داخل موقد فخاري، حفاظًا على خشب السفينة، ويضعون الإناء الذي به بعض ماء البحر، على النار، يغلي الماء، وتتصاعد الأبخرة منه، فيضعون لوحًا من المعدن على النار، بطريقة مائلة، يتكاثف البخار، ثم ينحدر نحو كوب صغير (

الجميع: الحمد لله.. لقد نجحت التجربة.

منصور (ممسكًا بالكوب): هذه أغلى قطرة ماء في حياتي.

(يهم أن يضع الكوب على شفتيه، ولكنه يتوقف ...، ويقول:

-خذوا.. سأشرب آخر واحد فيكم.

سالم: بل ستكون أولنا. .

منصور: بل آخركم.. إنني أحبكم كلكم..

صالح: هيا منصور.. رشفة واحدة، نريد أن نتذوق ثمرة تجربتنا..

(يتردد منصور..، يرشف، يتنقل الكوب بينهم، يرتشفون، بتلذذ)

البحار الأول: فكرة رائعة. .الماء عذب صافٍ.

إسماعيل: إنها ألذ قطرة ماء شربتها في حياتي.

(يستمرون في التجربة، يتحرك البحارة بنشاط لإكمال العمل)

(يظلم المشهد، ثم ينفتح على الحكيم ومعه الطفلان: هيثم وزهرة)

الحكيم: ما رأيك يا زهرة؟

زهرة (بانبهار): أنا غير مصدقة ما يحدث، هذا تشبث بالأمل إلى آخر لحظة.

هيثم (صارخا): لا، إنه تشبث بالحياة.

الحكيم: بل إنه الإيمان بالله، الذي أضاء القلوب، وحفز العقول.

زهرة: كلامك صحيح، والعجيب أنهم باتوا يحبون بعضهم بشدة.

هيثم: هذا ما يسمى الإيثار.

الحكيم: تعالوا نرى ما حدث.

زهرة (تشهق): أخاف ألا يجدوا ما يشربونه.

(يظلم المشهد السابق، ويضاء مشهد السفينة، حيث نرى بقايا الرماد في مكان الاشتعال، بينما اختفت كومة الثمار الجافة)

(البحارة يصلّون وهم جالسون على الأرض، هم الآن في الركعة الأخيرة، يركعون بانحناءة، ثم يسجدون، ويتشهدون، ويسلمون)

إسماعيل: الحمد لله. .

سالم: المتبقي الآن، هو كوب واحد من الماء.

أحد البحارة: هل نشربه الآن أم نتركه للحظات الأخيرة؟

منصور: دعه.. الآن، ربما ينفعنا بعد قليل.

صالح: هيا ادخلوا في الدعاء الهامس، كل واحد مع نفسه.

(يصمتون، ويغرقون في الدعاء.. بصوت هامس، ثم يقطع الهمس صوت سالم)

- اللّهُمَّ، لقد فرغ ما عندنا، ولا ملجأ لنا إلا أنت، جلّ شأنك.

صالح: تمددوا.. تمددوا..، فإنني أشعر أن شديد القرب من الله تعالى.

(يقرّب إسماعيل الكوب من شفتيه، قائلاً بخجل:

-اسمحوا لي ؛ إنني في عطش شديد، منذ ليلة أمس.

(يدور الكوب بينهم، كل واحد يفضّل الآخر على نفسه، حتى يشرب صالح، ثم يتبعه الآخرون)

إسماعيل: لقد فرغ الكوب. .

منصور: هل نتأهب للموت؟

(صمتوا...)

(ارتختْ الأجساد.، تمددوا.، أغمضوا عيونهم)

(إظلام تدريجي)

(بعد فترة، في الظلام، صوت منصور)

-غير معقول.، إنني أرتشف ماء.، لا شك أنني أحلم.

سالم: إن الماء يغرقني، لقد دخل إلى حلقي الجاف، ومنه إلى بطني، كأنني أسبح في بحيرة من الماء.

إسماعيل: وأنا.، ما هذا؟ هل السماء تمطر؟ إنها تمطر بالفعل.

صالح: غير معقول.، نحن في فصل الشتاء، والمطر لا يهطل في المحيط الهندي، وفي تلك المنطقة إلا في فصل الصيف، كيف هذا؟ سبحانك ربنا.

(إضاءة تدريجية، يظهر البحارة بين جالس ونائم.، والجميع ملابسهم مبتلة، بينما تتساقط قطرات من المطر الغزير على السفينة)

صالح: هيا يا رجال.، املأوا الآنية التي لديكم بالماء، وافتحوا صهريج السفينة حتى يمتلىء. .هيا.

(يسرعون.، يضعون الآنية تحت المطر، ينزل بعضهم، حاملاً الممتلىء منها إلى صهريج السفينة.)

سالم: أشعر بالهواء ...، إنها الريح.. الريح. .

منصور: لا يمكن.. نعم، الريح تلسع خدي.، إنها قادمة من الجنوب، نحو الشمال، تجاه بلادنا.، أنا غير مصدق.، إنها تحرّك الأمواج الواقفة منذ شهرين، تهز الشراع.

(صالح يحرك الشراع، الذي يمتلىء بالهواء قليلاً، يقول:

-هيا.. هيا ... الفرج جاء لنا.

الجميع: سنعود لأطفالنا، إلى ديرتنا، إلى آبائنا. .

صالح: ألم أقل لكم.. الله معنا ولن يتركنا..؟

منصور: لقد تغيّرت نفسي تمامًا..، هناك ما هو أغلى وأهم من المال والزواج والحياة، هناك رضا الله، وهناك لذة الاقتراب منه.

الجميع (بأصوات متداخلة): الحمد لله. .صدق وعده لنا.. الحمد لله. .

الجميع: سنعود إلى ديرتنا.. إلى بلدنا، سنجد أهلنا في انتظارنا..، الحياة لها طعم آخر الآن...

(يكبّرون، يهللون، ...، تهتز السفينة متحركة بهم)

(إظلام)

(يضاء جانب المسرح، ونشاهد الحكيم والصغيران يتحاورون)

زهرة (دامعة): أنا غير مصدقة.

هيثم (شاهقا): جاء الفرج في آخر لحظة.

زهرة (بصوت متهدج): وهم تمسكوا بالحياة والأمل لآخر لحظة.

الحكيم: وهذه قصة حقيقية، يرويها البحارة ليعلموا أن الله معهم ماداموا مؤمنين.

(إظلام)

❊ ❊ ❊

سيرة ذاتية للمؤلف

الاسم : أ. د. مصطفى عطية جمعة

أستاذ الأدب العربي والنقد الأدبي والفنون

وباحث في الإسلاميات والحضارة، وقاص وروائي ومسرحي.

الإيميل : mostafa_ateia123@yahoo.com

mostafaateia@gmail.com

الأعمال المنشورة:

أولا: الدراسات الأدبية والنقدية :

١) دلالة الزمن في السرد الروائي، نقد، جائزة النقد الأدبي، الشارقة، ٢٠٠١.

٢) أشكال السرد في القرن الرابع الهجري، نقد، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠٦

٣) ما بعد الحداثة في الرواية العربية الجديدة (الذات، الوطن، الهوية)، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٠، وكالة الصحافة العربية، القاهرة،ط٢، ٢٠٢٣.

٤) الرؤية والأداة: في جماليات المكان والزمان والتأويل، وكالة الصحافة العربية، ناشرون، القاهرة، ٢٠٢٣، وصدرت طبعته الأولى بعنوان اللحمة والسداة، نقد أدبي، سندباد للنشر، القاهرة، ٢٠١٠.

٥) شعرية الفضاء الإلكتروني في ضوء ما بعد الحداثة، نقد أدبي، دار شمس، القاهرة، ٢٠١٦.

٦) الظلال والأصداء، نقد أدبي، دار شمس للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠١٥م

٧) الوعي والسرد، دار النسيم للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٦م.

٨) السرد في التراث العربي (رؤية معرفية جمالية)، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠١٧م، ووكالة الصحافة العربية ناشرون، القاهرة، ط٢، ٢٠٢٣.

٩) القرن المحلق (الرواية الإفريقية وأدب ما بعد الاستعمار)، منشورات جائزة الطيب صالح العالمية، الخرطوم، ٢٠١٧م، وكالة الصحافة العربية، القاهرة، (ط٢)، ٢٠٢٣.

١٠) عضو فريق التأليف في كتاب: التأريخ واشتغال الذاكرة في الرواية العربية، ببحث عنوانه: تمثيل التاريخ العربي وإشكالات التأريخ في الرواية التاريخية، منشورات كتارا للرواية العربية، قطر، العام ٢٠١٩م.

١١) التحيز في المسرح العربي: قراءة في الجذور والنشأة والنصوص والتجارب، في كتاب محكم جماعي بالاشتراك: تلغيم الفن: المسرح بوصفه ساحة للتحيزات، منشورات دار نور حوران، دمشق، سورية، إبريل ٢٠١٩م.

١٢) الفصحى والعامية والإبداع الشعبي، دار شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩م.

١٣) أصداء ما بعد الحداثة: في الشعرية والفن والتاريخ، دار شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩م.

١٤) شرنقة التحيز الفكري: أنماط وتجليات ودراسات، دار شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩م.

١٥) البنية والأسلوب: دراسات نقدية، دار شمس للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠٢٠

١٦) المعجمية العربية: قراءة حضارية في ضوء الأنثروبوجيا الثقافية، دار المثقف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٣.

ثانيا: الإسلاميات والحضارة:

١٧) هيكل سليمان (المسجد الأقصى وأكذوبة الهيكل)، ط١، دار الفاروق للنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م. ووكالة الصحافة العربية ناشرون، القاهرة، ط٢، ٢٠٢٣.

١٨) فلسفة الرحمة في شخصية الرسول (ص)، ط٢، وكالة الصحافة العربية ناشرون، القاهرة، ٢٠٢٣، وصدرت الطبعة الأولى بعنوان: الرحمة المهداة، خلق الرحمة في شخصية الرسول (ص)، إسلاميات، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ٢٠١١ م،

١٩) الحوار في السيرة النبوية، إسلاميات، دار شمس للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠١٥م

٢٠) الإسلام والتنمية المستدامة، دار شمس للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠١٦م.

٢١) منهج الرسول (صلى الله عليه وسلم) في إدارة الأزمات، إسلاميات، دار شمس للنشر والإعلام، القاهرة، ٢٠١٨م.

٢٢) وسطية الإسلام في حياتنا الفكرية: قضايا التجديد والثقافة والمعاصرة، إسلاميات، دار شمس للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠٢٠.

٢٣) الحكم الراشد: رؤية إسلامية حضارية، دار شمس للنشر والمعلومات، إسلاميات، القاهرة، ٢٠٢٠.

٢٤) صورة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الوجدان الغربي: أبعاد التجني، براهين التفنيد، الكتاب الفائز بالجائزة الأولى في المسابقة الدولية بمنصة أريد البحثية الدولية ARID Platform، ماليزيا، ديسمبر ٢٠٢٠.

٢٥) المثاقفة والتواصل: حوار الذات وحوار الحضارات، وكالة الصحافة العربية، ناشرون، القاهرة، ٢٠٢٢.

٢٦) الطفولة والهوية والتغريب: إشكاليات النسوية والجندرية، وكالة الصحافة العربية، ناشرون، القاهرة، ٢٠٢٢.

٢٧) أسئلة الحضارة والنهضة: إضاءة على الفكر التنويري والحداثة الإسلامية، وكالة الصحافة العربية، ناشرون، القاهرة، ٢٠٢٣.

٢٨) التطبيع الصهيوني العربي شفرات الخداع والتدليس، منشورات مركز الشرق للأبحاث والثقافة (ECR)، ٢٠٢٣.

ثالثا: الإبداعات الأدبية:

٢٩) وجوه للحياة، مجموعة قصصية، نصوص ٩٠، القاهرة، ١٩٩٧م

٣٠) نثيرات الذاكرة، الجائزة الأولى في الرواية، دار سعاد الصباح، القاهرة / الكويت، ١٩٩٩م.

٣١) شرنقة الحلم الأصفر، رواية، جائزة الرواية عن نادي القصة، بالقاهرة، ٢٠٠٢، نشر: مركز الحضارة العربية،٢٠٠٣م.

٣٢) طفح القيح، مجموعة قصصية، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٣٣) أمطار رمادية، مسرحية، مركز الحضارة العربية بالقاهرة، ٢٠٠٧م.

٣٤) نتوءات قوس قزح، رواية، سندباد للنشر، القاهرة، ٢٠١٠.

٣٥) مقيم شعائر النظام، مسرحيات، دار الأدهم للنشر، القاهرة، ٢٠١٢م.

٣٦) قطر الندى، مجموعة قصصية، دار شمس للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠١٣م.

٣٧) على متن محطة فضائية، رواية للأطفال، منشورات مكتب التربية لدول الخليج العربي، الرياض، ٢٠١٢م.

٣٨) سفينة العطش، مسرحية للأطفال، منشورات مكتب التربية لدول الخليج العربي، الرياض، ٢٠١٢م.

٣٩) أصدقاء في عالم الفضاء، رواية للفتيان، وكالة الصحافة العربية، ناشرون، القاهرة، ٢٠٢٣، ط٢، وصدرت الطبعة الأولى بعنوان: رواد فضاء الغد، أطفال، منتدى الأدب الإسلامي، الكويت، ٢٠١٤م.

٤٠) لكل جواب قصة، مسرحيات للأطفال، منتدى الأدب الإسلامي، الكويت، ٢٠١٤م.

٤١) سوق الكلام، مسرحيات، دار النسيم للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٧م.

٤٢) حدث مألوف، قصص قصيرة جدا، دار شمس للطبع والنشر، القاهرة، ٢٠٢٣.

٤٣) جزيرة الفئران، مسرحيات للأطفال واليافعين، دار المثقف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٣.

٤٤) الحسن بن علي، رواية للأطفال واليافعين، دار المثقف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٣.

٤٥) البرتقالة في الزجاجة، مجموعة قصصية للأطفال واليافعين، دار المثقف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٣.

٤٦) صندوق الألعاب، مجموعة قصصية للأطفال، دار المثقف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٣.

الفهرس

(المسرحية الأولى) خداع على خداع ٥

(المسرحية الثانية) قِدرةُ الزيتِ ٣٥

(المسرحية الثالثة) جزيرةُ الفئران ٤٩

(المسرحية الرابعة) سفينة العطش ٦٩

سيرة ذاتية للمؤلف ٨٥

الفهرس ٩١

❊ ❊ ❊

جزيرة الفئران

في مسرحية جزيرة الفئران، قررت الحكومة أن تبيع جزيرة امتلأت بالفئران مجانا، بشرط أن يقضي المشتري على الفئران بها، وهذا استلزم حيلة ذكية من شابين..

وفي مسرحية قدرة الزيت ، لن تتخيل أن فقيرا جاءه إناء سحري به زيت لا ينفد، واحتار ماذا يفعل به، أما مسرحية خداع على خداع، فنقرأ فيها كيف استطاع التاجر الصادق خداع التاجر الغشاش، في حين أن مسرحية سفينة العطش، تحكي عن بحّارة في سفينة تفننوا في تقطير الماء العذب بوسائل عديدة.

9 789778 683400

متون المثقف
عالم النشر الحديث